الاعتماد

شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي

المتوفى سنة ٦٢٠ هـ

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ وبعد.

فهذا شرح مختصر على **«كتاب لمعة الاعتقاد»** للإمام ابن قدامة

رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حصلته من كتب بعض أهل العلم الذين شرحوا هذا الكتاب المبارك، وأضفت إليه بعض المسائل التي رأيتها تناسب المقام.

وأسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يجعلنا ممن يتعلمون العلم ابتغاء مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والفوز بجنانه.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

١/٢/١٤٣٢هـ

ترجمة المؤلف(١)

نسبه:

هو الشيخ الإمام مُوَفَّقُ الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدَامَةَ المقدسي الجمَّاعِيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي.

مولده:

ولد بجمَّاعِيل من أعمال نابلس، في شعبان سنة إحدىٰ وأربعين وخمسمائة.

طلبه للعلم:

قدم دمشق مع أهله، حيث هاجر مع أهل بيته وأقاربه وله عشر سنين، فقرأ القرآن وحفظ مختصر الخرقي، وقرأ علىٰ مشايخها ثم رحل إلىٰ بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي سنة إحدىٰ وستين وأقاما أربع سنين أتقنا خلالها الفقه والحديث والخلاف، وعاد الموفَّق مرة أخرىٰ إلىٰ بغداد سنة سبع وستين ثم حج سنة ثلاث وسبعين فسمع بمكة.

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢٢/ ١٦٥-١٧٣)، و«الأعلام»، للزركلي (٤/ ٦٧-٦٨).

شيوخه:

تلقىٰ ابن قدامة العلم عن علماء كثيرين، منهم:

١- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي.

٢- أبو الفضل أحمد بن شافع الجيلي.

٣- أبو بكر أحمد بن المقرِّب الكرخي.

تلاميذه:

تلقىٰ العلم علي يد ابن قدامة كثيرون، منهم:

١- عماد الدين عبد الحافظ بن بدران الحنبلي.

٢- محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار.

من أخلاقه:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يناظر أحدا إلا غلبه، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يناظر أحدًا إلا وهو يبتسم.

مؤلفاته:

من أشهر مؤلفاته:

١- المغني في الفقه المقارن.

٢- روضة الناضر وجنة المناظر في أصول الفقه.

٣- الكافي في فقه الإمام أحمد.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم السبت يوم الفطر سنة عشرين وستمائة، فرثاه

صلاح الدين أبو عيسىٰ موسىٰ بن محمد بن خلف المقدسي بقصيدة له، يقول فيها:

لـم يبـقَ لـي بعْـدَ الُموفَّـقِ رَغْبَـةٌ ... في العــيشِ إنَّ العــيشَ سُــمٌ مُنْقَـعُ
صَــدرُ الزَّمــانِ وعَيْنُــهُ وطِـرازُهُ ... رُكــنُ الأنــامِ الزاهــدِ المتــورِّعِ

الـمتـــــن

قال الشيخ الإمام أبو محمد مُوفَّقُ الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الصالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١]، له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه:٥-٧]، أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه:١١٠]، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه الكريم.

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

وما أَشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلىٰ قائله، ونجعل عهدته علىٰ ناقله اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنىٰ الله عليهم في كتابه المبين بقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي

﴿ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧].

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧]، فجعل ابتغاء التأويل علامة علىٰ الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

فصل في كلام أئمة السلف في الصفات

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول النبي ﷺ: «**إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا**»(١)، أو: «**إن الله يرىٰ في القيامة**»(٢)، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدِّق بها بلا كيف، ولا معنىٰ، ولا نردُّ شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد علىٰ رسول الله ﷺ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدىٰ ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت، ولا نتعدىٰ القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وتثبيت القرآن.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله.

وعلىٰ هذا درج السلف وأئمة الخلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، كلهم متفقون علىٰ الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

فصل في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

وقد أُمِرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداءِ بمنارهم، وحُذِّرنا المحدثات وأُخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**».

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كلاما معناه: قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كَفُّوا، ولَهُم علىٰ كشفها كانوا أقوىٰ، وبالفضل لو كان فيها أحرىٰ، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغِب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسِّر، وما دونهم مقصِّر، لقد

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢)، عن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ.

قصَّر عنهم قوم فجفُوا وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلىٰ هدىً مستقيم.

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.

وقال محمد بن عبد الرحمن الأذرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلىٰ وسعهم، قال فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل، فقال الخليفة - وكان حاضرًا -: لا وسَّع الله علىٰ من لم يسعه ما وسعهم.

وهكذا من لم يسعه ما وسِع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسَّع الله عليه.

فصل في ذكر بعض آيات الصفات

فمما جاء من آيات الصفات قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة:١١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله تعالىٰ في الكفار: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح:٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٦].

فصل في ذكر بعض أحاديث الصفات

ومن السنة، قول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا**»[(١)].

وقوله: «**يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة**»[(٢)].

وقوله: «**يضحك الله إلىٰ رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة**»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حسن: رواه أحمد (٢٨/ ٦٠٠)، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه العلامة الحويني حفظه الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته، نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحْدَثِين، ونعلم أن الله ﷻ لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۭ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالىٰ بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[المُلك:١٦].

وقول النبي ﷺ: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**»(١).

وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»(٢) رواه مسلم، ومالك بن أنس، وغيرهما من الأئمة.

وقال النبي ﷺ لحصين: «**كم إلها تعبد؟ قال سبعة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال من لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء، قال فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين، فأسلم، وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي»**(٣).

وفيما نُقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء.

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٣٨٩٢)، وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري، قال الحافظ بن حجر في «التقريب» منكر الحديث.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وقال: غريب.

وروىٰ أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «**إن ما بين سماء إلىٰ سماء مسيرة كذا وكذا...**»، وذكر الخبر إلىٰ قوله: «**وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك**»(١).

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله علىٰ نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقيل: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، كيف استوىٰ؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج.

فصل في كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

ومن صفات الله تعالىٰ أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤].

---

(١) **ضعيف**: رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (٣/ ٢٩٢)، وضعفه الألباني.

وقال سبحانه: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[الشورى:٥١].

وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾[طه:١١-١٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه:١٤]، وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء**»، روىٰ ذلك عن النبي ﷺ[(١)].

وروىٰ عبد الله بن أُنيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»، رواه الأئمة[(٢)] واستشهد به البخاري[(٣)].

وفي بعض الآثار أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليلة رأىٰ النار فهالته ففزع منها فناداه ربه: يا موسىٰ، فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت، فقال لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرىٰ مكانك، فأين أنت؟ فقال: «**أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك**»، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٧٤٨)، وأحمد (١/ ٩٠)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥/ ٤٣٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري معلقًا بصيغة التمريض (٩/ ١٤١).

لله تعالىٰ. قال كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: «**بل كلامي يا موسىٰ**».

فصل في القرآن الكريم

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين علىٰ قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، مَن قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨].

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ:٣١].

وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدَّثر:٢٥].

فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدَّثر:٢٦].

وقال بعضهم: هو شعر.

فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس:٦٩]، فلما نفىٰ الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

وقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس:١٥]، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلىٰ عليهم.

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩]، بعد أن أقسم علىٰ ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريم:١]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ [الشورىٰ:١-٢]، وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر**

حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة»(١) حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه**»(٢).

وقال أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه».

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله».

واتفق المسلمون علىٰ عَدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة علىٰ أنه حروف.

فصل في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٥]،

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٧٤)، بلفظ: «**أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَكَفَّارَةُ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ، وَرَفْعُ عَشْرِ دَرَجَاتٍ**»، وفي سنده نهشل الورداني، وهو متروك.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٨٣٠)، وأحمد (٣٧/ ٥٠٧)، وصححه الألباني، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلما حجب أولئك في حال السخط دل علىٰ أن المؤمنين يرونه في حال الرضىٰ، وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال النبي ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**»(١) حديث صحيح متفق عليه، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالىٰ لا شبيه له ولا نظير.

فصل في القضاء والقدر

ومن صفات الله تعالىٰ أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء:٢٣]،

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر:٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]،

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥].

روىٰ ابن عمر أن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال للنبي ﷺ: «**ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فقال جبريل: صدقت**»(١) رواه مسلم.

وقال النبي ﷺ: «**آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره**»(٢).

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «**وقني شر ما قضيت**»(٣).

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره وفعل نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهىٰ إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا علىٰ معصية، ولا اضطره إلىٰ ترك طاعة،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٨).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٥٨٥٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٣٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٥٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، بلفظ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْقِيَامَةِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ**».

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، وحسنه، والنسائي (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، من حديث الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وصححه الألباني.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٧]، فدل علىٰ أن للعبد فعلا وكسبا يجزىٰ علىٰ حسنه بالثواب، وعلىٰ سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

فصل في الإيمان

والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة:٥]، فجعل عبادة الله تعالىٰ وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**»(١)، فجعل القول والعمل من الإيمان.

وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤].

وقال: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [الفتح:٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه**

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مثقال بُرة أو خردلة أو ذرة من الإيمان»[١]، فجعله متفاضلًا.

فصل في السمعيات

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع علىٰ حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا منامًا فإن قريشًا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.

ومن ذلك أن مَلك الموت لما جاء إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلىٰ ربه فرد عليه عينه[٢].

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال ونزول عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقتله[٣]، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل.

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في كل صلاة.

وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق.

والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٦٢٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الصور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس:٥١].

ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلا بهما، فيقفون في موقف القيامة حتىٰ يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ، ويحاسبهم الله تبارك وتعالىٰ وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين وتتطاير صحائف الأعمال إلىٰ الأيمان والشمائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلىٰ من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا[(١)].

والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار، ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا فيدخلون الجنة بشفاعته[(٢)]، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٩٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٣).

﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء:٢٨]، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوىٰ أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزُّخرُف:٧٥]، ويؤتىٰ بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «**يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت**»[(١)].

فصل في حقوق النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتىٰ يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يقضىٰ بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضىٰ رضي الله عنهم أجمعين، لما روىٰ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**كنا نقول والنبي ﷺ حي: أفضل هذه الأمة بعد**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»[(١)].

وصحت الرواية عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث**»[(٢)].

وروىٰ أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علىٰ أفضل من أبي بكر**»[(٣)].

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة علىٰ جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإجماع الصحابة علىٰ تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم علىٰ ضلالة ثم من بعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لتقديم أهل الشورىٰ له، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٥٢٩).

(٣) ضعيف: رواه أبو نعيم في «فضائل الصحابة» (٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٠١)، من حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

وقال ﷺ: «**الخلافة من بعدي ثلاثون سنة**»(١) فكان آخرها خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»(٢)، وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها كقوله: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(٣)، وقوله لثابت بن قيس: «**إنه من أهل الجنة**»(٤).

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء.

ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، وحسنه، من حديث سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وصححه، وابن ماجه (١٣٣)، النسائي في «الكبرىٰ» (٨١٣٧)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٦٨)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١١٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨١١٣)، وأحمد (١٧/ ٣١)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١١٩)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونرىٰ الحج والجهاد ماضيًا مع طاعة كل إمام، برًا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

قال أنس: قال النبي ﷺ: «**ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله ﷻ حتىٰ يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار**»(١)، رواه أبو داود.

ومن السنة: تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»(٢).

ومن السنة: الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ

---

(١) **ضعيف**: رواه أبو داود (٢٥٣٢)، وفي سنده: يزيد ابن أبي نشبة، لم يخرج له أحد من الستة غير أبي داود وهو مجهول كما قال الحافظ المزي، ولكن له شواهد، وضعفه الألباني.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

وجوب الاتباع وذم الابتداع

ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتىٰ صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

ومن السنة: هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلىٰ كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية، والكلابية، ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

وأما بالنسبة إلىٰ إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا علىٰ الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

تَمهيد

قواعد هامة
في باب الأسماء والصفات

تمهيد

قواعد هامة في باب الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته.

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ تكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله ﷺ على ما هي عليه في ذلك اللسان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣].

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤].

فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقيتين، فيجب إثبات ذلك له.

فإذا قال قائل: المراد بهما القوة.

قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره، فلا يجوز القول به، لأنه قول على الله بلا علم.

القاعدة الثانية: أسماء الله كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته، لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص

فيها بوجه من الوجوه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠].

القاعدة الثالثة: أسماء الله غير محصورة بعدد معين.

يدل علىٰ هذا حديث عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»(١).

وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

أما حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٢)، فليس معناه أن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تسعة وتسعون اسما فقط.

قال الخطابي في هذا الحديث: إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد وليس فيه منع ما عداها من الزيادة وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني وخبر المبتدأ في الحديث هو قوله من أحصاها لا قوله لله وهو كقولك: لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، أو

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٤٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

لعمرو مائة ثوب من زاره ألبسه إياها(١).

ونقل النووي اتفاق العلماء عليه، فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالىٰ، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء(٢).

القاعدة الرابعة: أسماء الله توقيفية:

أي يتوقف إثباتها علىٰ ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالىٰ من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك علىٰ الشرع.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦].

القاعدة الخامسة: صفات الله كلها عليا، صفات كمال ومدح، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه.

كالحياة، والعلم، والقدرة، وغير ذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠].

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمىٰ، ونحو ذلك لأن الرب لا يمكن

---

(١) انظر: «فتح الباري»، لابن حجر (١١/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» (١٧/ ٥).

أن يكون ناقصًا لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالا من وجه، ونقصا من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه علىٰ سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالا، وتمتنع في الحال التي تكون نقصًا كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت في مقابلة مثلها، لأنها تدل علىٰ أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصا في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولىٰ دون الثانية قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران:٥٤].

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر ؟

فلا تقل: نعم، ولا تقل: لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك.

القاعدة السادسة: صفات الله تنقسم إلى قسمين:

١- ثبوتية.

٢- سلبية.

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله علىٰ الوجه اللائق به، لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته ﷻ.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله؛ لأن الله نفاها عن نفسه ﷻ مع إثبات كمال الضد، لأن النفي لا يكون كمالا حتىٰ يتضمن ثبوتًا.

مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩].

فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله علىٰ الوجه الأكمل.

والصفات الثبوتية تنقسم إلىٰ قسمين:

١- ذاتية.

٢- وفعلية.

فالذاتية: هي التي لا تنفك عن ذات الله تعالىٰ كالسمع والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء علىٰ العرش، والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلما وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متىٰ شاء.

القاعدة السابعة: فيما نرد به على المعطلة.

المعطلة هم الذين ينكرون شيئًا من أسماء الله، أو صفاته، ويحرفون النصوص عن ظاهرها، ويقال لهم: «**المؤولة**».

والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم خلاف طريقة السلف؛ «**إثبات - تنزيه - قطع الطمع عن إدراك كيفية الصفات**».

٣- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

الشَّرْح

شرح عنوان الكتاب

«لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»

لُمعة: معنىٰ اللمعة ما خالف بقية اللون، كأن يكون مثلا اللون أسود، وتكون في بقعة بيضاء، فتسمىٰ هذه البقعة البيضاء لمُعة، ولذا اشتهرت هذه الكلمة بأنها تطلق علىٰ لمعة الفرس التي تكون غالبا في الخيل ونحوه، أو أن اللُّمعة بمعنىٰ البُلْغة من العيش.

الاعتقاد: مصدر اعتقد، وهو اليقين الجازم الذي يعتقده القلب، ويسمىٰ بالإيمان.

الهادي: أي المرشد والدال.

سبيل الرشاد: أي طريق الحق، والصراط المستقيم الموصل إلىٰ الجنة، والرشاد ضد الغي.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾[غافر:٣٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[الأعراف:١٤٦].

وعلىٰ هذا فابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ قصد بكتابه حين سماه بلمعة الاعتقاد، أنه يحتوي علىٰ بلغة من الاعتقاد الصحيح، أو أنه لمعة بيضاء منيرة لصفائها، وصحة دليلها، لأنها عقيدة مستمدة من الكتاب والسنة، ومن ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: «**الهادي إلىٰ سبيل الرشاد**».

ولاشك أن الاعتقاد الصحيح المبني علىٰ الأدلة الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هادٍ لمن سلكه وسار عليه إلىٰ سبيل الرشاد؛ وهو أيضًا سبيل إلىٰ الرشاد في الآخرة، حين يُهدي من مات علىٰ هذا التوحيد الصحيح إلىٰ جنات النعيم، والفوز برضوان الله تعالىٰ يوم القيامة.

أهم الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب

تناول الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب عدة موضوعات عقدية، منها:

١- جملة من أصول الإيمان [الإيمان بالرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر].

٢- الترغيب في السنة والتحذير من البدعة.

٣- جملة من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة.

٤- اعتقاد أهل السنة في القرآن الكريم.

٥- موقف أهل السنة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وآل البيت ﷺ.

٦- موقف أهل السنة من المبتدعة.

قال الشيخ الإمام أبو محمد مُوَفَّقُ الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الصالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه:٥-٧]، أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠]، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم.

الشَّرْح

قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم»: ابتداء المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مكاتبته ومراسلاته،

والبداءة بها للتبرك والاستعانة علي ما يهتم به.

قوله: «الحمدُ للهِ»: الألف واللام في الحمد للاستغراق، أي أن الله مستحق كل الحمد.

والحمد هو الثناء على الله تعالى بما هو أهله.

قوله: «المحمودِ بكلِّ لسانٍ»: أي أن الله ﷻ فطر جميع الخلق على حمده ﷻ، والاعتراف له بالربوبية، فقوله: «**المحمود بكل لسان**»، يشمل لسان الحال، ولسان المقال الذي يعم جميع المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤].

قوله: «المعبودِ في كلِّ زمانٍ»: أي أنه ﷻ له العبودية المطلقة، فعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١).

فائدة: العبودية قسمان:

القسم الأول: عبودية عامة شاملة، لا يخرج عنها أحد، وهي بمعنى التسخير، ويدخل فيها جميع المخلوقات من عاقل وغيره، ورطب ويابس، وبر وفاجر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم:٩٣].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).

القسم الثاني: عبودية خاصة، ويدخل فيها العابد المؤمن فقط، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[الحجر:٤٢].

قوله: «الذي لا يَخْلو من علْمِهِ مكان»: أي لا يخلو من علمه أي مكان لإحاطة علمه تعالىٰ بكل شيء.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام:٥٩].

قوله: «ولا يَشْغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ»: أي لا يشغله حال عن حال، وهذا لكمال صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «جلَّ»: أي تقدس وتنزه.

قوله: «عن الأشباه والأنداد»: الأشباه والشبيه هو المُشَابِه من بعض الوجوه دون بعض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:٤].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

قوله: «وتَنَزَّه عن الصَّاحِبةِ والأولادِ»: أي نزَّه نفسه عن اتخاذ الوالد والزوجة؛ لقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾[الجن:٣].

قوله: «ونَفذَ حُكْمُه في جميعِ العبادِ»: أي لا رادَّ ولا معطل لحكمه الكوني.

فائدة: الحكم قسمان:

القسم الأول: حكم خاص بعباد الله المؤمنين، وهو المتعلق بما يحبه الله ويرضاه.

القسم الثاني: حكم كوني عام، وهو الشامل لجميع العباد، ولا يستطيع أحد رده.

قوله: «لا تُمَثِّلُه العقولُ بالتَّفْكيرِ»: أي أنه ﷻ في ذاته وصفاته، لا يمكن أن تمثله العقول بالتفكير؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورىٰ:١١].

قوله: «ولا تتوهمه القلوب بالتصوير»: لأنها لم تره، فلا يستطيع أحد أن يعرف حقيقة شيء في الدنيا حتىٰ يراه، أو يرىٰ مثيله، أو يخبر بخبر صادق، فكيف بحقيقة الله ﷻ ؟

قوله: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»: هذه الآية تعدُّ قاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة.

فقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾: رد علىٰ المشبهة والممثلة، و﴿شَيْءٌ﴾ نكرة في سياق النفي تفيد العموم.

والكاف في قوله ﷻ: ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾ جاءت للتأكيد.

وقال بعض المفسرين: الكاف بمعنىٰ مِثْل فيكون المعنىٰ «**ليس مِثْلَ مِثْلِهِ شيءٌ**» قالوا: وهذا من باب المبالغة، والمعنىٰ: أنه إذا كان مثل المثل ليس كمثله سبحانه، فإن المِثْل من باب أولىٰ.

وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: هذا رد علىٰ المعطلة.

قوله: «له الأسماء الحسنى»: الحسنىٰ هي التي بلغت في الحسن غايته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، فأسماؤه ﷻ كلها حسنة.

قوله: «والصفات العُلَىٰ»: أي له ﷻ الصفات العالية الكاملة من كل وجه.

قوله: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾»: استواء يليق بجلاله وعظمته ﷻ.

قوله: «﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾»: أي كل ما في السماوات والأرض ملك له ﷻ، وهذا لبيان كمال صفاته ﷻ، فلا أحدَ مِن المخلوقين يملك شيئًا.

قوله: «﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾»: أي ما بين السموات والأرض.

قوله: «﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾»: أي ما تحت التراب، وهذا لبيان أن الله ﷻ له كلُّ شيء، في العلو والسفل وما بينهما.

قوله: «﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾»: أي الجهر بالقول، والإسرار عنده سواء، وهذا لبيان كمال الله ﷻ في سمعه، وعلمه.

والسرُّ: هو ما يُسره الإنسان لشخص آخر، وقيل: هو ما لا يعلمه إلا صاحبه.

قوله: «﴿وَأَخْفَى﴾»: أي أخفىٰ من السر.

قوله: «أحاط بكل شيء علمًا»: أي لا يغيب عنه علم شيء؛ كما قال تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وقوله: ﴿شَيۡءٍ﴾: نكرة في سياق الإثبات تفيد العموم، أي أن علمه أحاط بكل شيء، مهما صغر أو خفي، في ليل أو نهار.

قوله: «وقهر كل مخلوق عزة وحكما»: أي أنه جل جلاله قهر الجميع عزة وحكما؛ لأنه سبحانه وتعالى هو العزيز وهو الحكيم؛ العزيز في ملكه، الحكيم في خلقه وأمره وشرعه عز وجل.

والعزيز: هو الذي إذا أراد شيئا أمضاه لا يستطيع أحد صده.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[(١)].

قوله: «ووسعَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعلما ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه:١١٠]»: أي أنه سبحانه وتعالى قهر عباده، ووسعهم برحمته، ولا يغيب عنه شيء.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح.

قـولـه: «موصوفٌ بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم ﷺ»: أي أنه سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه من صفات الكمال، والجلال في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ فيجب علىٰ المسلم أن يؤمن بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

وما أَشكل من ذلك وجب إثباته لفظا، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

الشَّرْح

قوله: «وكلُّ ما جاءَ في القُرآنِ»: هذا تفصيل ما أجمله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات، وهو الاعتماد على القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

قــولـه: «أو صحَّ عن المصطفى عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الرحمن وجَبَ الإيمانُ به، وتلقيهِ بالتسليمِ والقبولِ»: أي ما صح من حديث رسول الله ﷺ من صفات الله ﷻ وجب الإيمان به، والتسليم له، وقبوله.

قــولـه: «وترك التعرض له بالرد»: أي أن أهل السنة والجماعة يقبلون، ولا يردون ما ورد من ذلك بل يقبلونه ويسلمون له، فالرد المذموم هو ردُّ النصِّ، أو رد ما دل عليه النص من صفة ونحوها.

قــولـه: «والتأويل»: أي ترك التعرض له بالتأويل.

والتأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

ومثاله: تأويل من تأول: استوىٰ، بمعنىٰ استولىٰ، واليدين بمعنىٰ القدرة، والقَدَم بمعنىٰ الشدة، ونحوه.

فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

وهذا اصطلاح حدث عند كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله؛ ولم يكن معروفا عند السلف[١].

والتأويل عند السلف له معنيان[٢]:

الأول: التفسير، ومنه قول الرسول ﷺ لابن عباس: «**اللهُمَّ فَقِّهْهُ**

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٨٢).
(٢) انظر: «التدمرية» صـ (٩١-٩٣)، و«الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، صـ (٢٨٧-٢٩٠).

فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[١]، وهذا هو الغالب علىٰ اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير: «**واختلف علماء التأويل**»، و: «**القول في تأويل قوله تعالىٰ كذا**»؛ وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾[آل عمران:٧]

الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل، والشرب، واللباس، والنكاح، وقيام الساعة، وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال الله تعالىٰ عن يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾[يوسف:١٠٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾[الأعراف:٥٣].

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله؛ وعليه يجب الوقف علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧].

أما المعنىٰ الثالث للتأويل، وهو صرفُ اللفظ من الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهو الذي قصدها ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا، وهذا المعنىٰ له حالتان:

الحال الأولىٰ: أن يكون الدليل صحيحًا والصارف عن المعنىٰ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢٣٩٧)، وصحح إسناده أحمد شاكر.

الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح صحيحًا، ففي هذه الحالة يكون هذا التأويل صحيحًا.

الحال الثانية: أن يكون التأويل بغير دليل، بل أحيانا يكون مخالفا للدليل، وهذا هو التأويل الباطل، وهو الذي قصده ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا حين قال: «**وترك التعرض له بالرد والتأويل**».

ويقصد ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ رد طريقة ومنهج المنحرفين في باب الأسماء والصفات وفي غيرها، الذين أوّلوا النصوص، بحيث يأتي بعضهم مثلا إلىٰ قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥]، فيتأول النص الظاهر إلىٰ معنىً آخر بعيد جدًا، فيقول: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ.

ويأتي إلىٰ قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، فيقول: اليدان هما القدرة، أو النعمة، أو القدرة والنعمة.

قــولــه: «والتشبيه والتمثيل»: أي دون التعرض لها بتشبيه، ولا التمثيل.

فائدة: التشبيه ثلاثة أقسام:

الأول: أن يجعل صفةً من صفات الله تعالىٰ مُشْبِهةً لصفة من صفات المخلوقين، كقولهم: يد الله مثل يد المخلوق.

الثاني: أن يجعل صفةً من صفات المخلوقين مُشبهة لصفة من صفات الله تعالىٰ، كقولهم: وجه المخلوق كوجه الله.

الثالث: أن يشبِّه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالمعدومات، أو المستحيلات، كقولهم:

إن الله لا اسم له ولا صفة، فهم يشبهون الله بالمستحيل والمعدوم.

والتمثيل: أن يجعل الصفة مماثلةً من جميع الوجوه.

فائدة: الفرق بين التشبيه والتمثيل.

أن التمثيل يقتضي المشابهة من جميع الوجوه، أما التشبيه فيقتضي المشابهة من بعض الوجوه.

قــولـه: «وما أَشْكَلَ من ذلك وَجَبَ إثباتهُ لفظا، وتَرْكُ التعرضُ لمعناهُ»: أي أننا لا نفوض المعنىٰ، وإنما نثبت الصفة.

قــولـه: «ونردُّ عِلْمَه إلى قائِلِه، ونَجْعَلُ عُهْدَتَهُ على ناقِلِه؛ إتباعا لطريقِ الراسخينَ في العلم، الذين أثنى اللهُ عليهم في كتابِه المبينِ بقوله ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾»: أثنىٰ الله علىٰ الراسخين في العلم؛ لأنهم آمنوا بالمتشابه، وقالوا: كل من عند ربنا وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلىٰ معرفته والإحاطة به، تعظيما لله ﷻ، ورسوله ﷺ، وتأدبا مع النصوص الشرعية.

قــولـه: «وقال ﷻ في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾»: ابتغاء الفتنة: أي إرادتها وإثارتها بين الناس لإغوائهم وإضلالهم.

وابتغاء تأويله: أي تأويل النصوص لتوافق ما عندهم.

فذم الله الذين اتبعوا المتشابه طلبا للفتنة وصدًّا للناس عن دينهم، وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلىٰ ما

يريدون لا إلىٰ ما يريده الله ورسوله، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة، والنقص ليشككوا المسلمين في دلالتها، ويعموهم عن هدايتها.

قوله: «فجعَلَ ابتغاء التأوِيلِ علامةً على الزيغِ، وقرنهُ بابتغاءِ الفتنةِ في الذمِّ، ثم حَجَبَهُم عمَّا أمَّلوه، وقطعَ أطماعَهُم عما قَصَدوه بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾»: أي لا يعلم حقيقته إلا الله ﷻ، والصحيح وجوب الوقف هنا.

ويكون المعنىٰ ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي وما يعلم حقيقة هذه الصفات إلا الله ﷻ.

وإن حُمل معنىٰ التأويل في الآية علىٰ التفسير كان المعنىٰ: وما يعلم تفسيره إلا الله والراسخون في العلم.

فائدة: معنى المحكم والمتشابه.

المحكم: هو ما كانت دلالته علىٰ المعنىٰ واضحة.

والمتشابه: فهو ما كانت دلالته علىٰ المعنىٰ غير واضحة.

فصل في كلام أئمة السلف في الصفات

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قول النبي ﷺ: «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا**»[(١)]، أو: «**إن الله يرى في القيامة**»[(٢)]، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدِّق بها بلا كيف، ولا معنى، ولا نردُّ شيئا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وتثبيت القرآن.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

الشَّرْح

قوله: «قال الإمام أبو عبدالله أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في قول النبي ﷺ: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»، و«إن الله يُرى في القيامة»، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمنُ بها»: أي نصدق ونقرُّ بها إقرارًا جازمًا.

قوله: «ونصدِّقُ بها بلا كيفَ»: أي لا نبحث عن كيفيتها[1].

---

(١) قال ابن قدامة: سُئل الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الأحاديث التي تروي أن الله تبارك وتعالىٰ يُرَىٰ وأنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا وأنه يضع قدمه وما أشبه ذلك؟

فقال أبو عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد منها شيئًا إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرد علىٰ الرسول ﷺ قوله، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق ولا يوصف الله تعالىٰ بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه لا نتعدىٰ ذلك، ولا نُزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت. =

قوله: «ولا معنى»: أي: لا معنىٰ مخالف لظاهرها.

قوله: « ولا نردُّ شيئًا منها»: أي لا نكذب ولا ننكر شيئًا منها.

قوله: «ونعلَمُ أن ما جاء به الرسولُ حقٌّ، ولا نردُّ على رسولِ الله ﷺ»: أي يجب علينا أن نؤمن بكل ما جاء في القرآن والسنة محكمه ومتشابهه، ولا نكذب بشيء منه.

قوله: «ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه»: أي لا نصف الله ﷻ بصفة لم ترد في كتابه أو سنة نبيه ﷺ.

قوله: «بلا حد ولا غاية»: أي نثبت لله ﷻ هذه الصفات علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، ونقول: إن صفاته ليس لها غاية، فليس لعلم الله - مثلا - غاية، ومنتهىٰ، كما أنه ليس لكلام الله ﷻ غاية ومنتهىٰ.

قوله: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»: هذه الآية قاعدة لأهل السنة، والجماعة، وهي: إثبات الصفات من غير تشبيه، ومن غير تعطيل.

قوله: «ونقولُ كما قال، ونصفُهُ بما وصَفَ به نفسَهُ، لا نتعدى ذلك»: أي نقول ونقر بما قاله الله ﷻ، ونصفه بما وصف به نفسه ﷻ، ولا نزيد علىٰ ذلك.

= نؤمن بهذه الأحاديث ونقرها ونُمرُّها كما جاءت بلا كيف ولا معنىٰ إلىٰ علىٰ ما وصف به نفسه تبارك وتعالىٰ، وهو كما وصف نفسه سميع بصير بلا حدٍّ، ولا تقدير صفاته منه وله لا نتعدىٰ القرآن والحديث والخبر، ولا نعلم كيف ذاك إلا بتصديق الرسول، وتثبيت القرآن. [انظر: «تحريم النظر في كتب أهل الكلام»، لابن قدامة، صـ(٣٨-٣٩)].

قــولـه: «ولا يبلُغُه وَصْفُ الواصفين»: أي مهما وصف الواصفون ربنا ﷻ لم يبلغوا كيفية صفاته ﷻ؛ لأننا لم نره ﷻ، ولم نر مثيله، ولم يخبرنا أحد عن كيفية صفاته ﷻ.

قــولـه: «نؤمن بالقرآن كلِّه مُحْكمِه ومتشابِهِه»: أي لا نفرق بين المحكَم، والمتشابَه من جهة الإيمان بهما، ونرد المتشابَه إلىٰ المحكم.

قــولـه: «ولا نزيل عنه صفةً من صفاته لشناعة شَنِّعَتْ»: أي إذا ثبتت الصفة بالدليل من كتاب الله أو من سنة الرسول ﷺ لا نردها، ولا نتأولها لأجل تشنيع المخالفين، فنثبت لله ﷻ ما ثبت ولو شنَّعوا.

فإذا قيل: إثبات الوجه لله يقتضي التجسيم.

قلنا: نحن نثبت لله الوجه؛ ولا نلتفت إلىٰ قولك؛ لأنه مخالف لما جاءت به النصوص.

قــولـه: «ولا نتعدى القرآنَ والحديثَ»: أي لا نثبت غير ما جاء في القرآن والسنة، وإنما نثبت ما ورد فيهما فقط، ولا نحَكِّم عقولنا فيهما.

قــولـه: «ولا نعلم كيف كُنْهَ ذلك إلا بتصديقِ الرسولِ ﷺ وتثبيتِ القرآنِ»: أي لا نعلم كيفية وحقيقة صفات الله ﷻ، ولا يعلمها كيفيتها إلا الله ﷻ، ولكن نحن نثبت الصفات لله كما يليق بجلاله وعظمته.

قــولـه: «قال الإمام أبو عبدالله محمدُ بنُ إدريس الشافعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «آمنتُ باللهِ، وبما جاءَ عن اللهِ، على مرادِ اللهِ ﷻ، وآمنت

برسول الله ﷺ، وبما جاء عن رسول الله ﷺ، على مراد رسول الله ﷺ»: أي أنني أؤمن بالله سبحانه وتعالى وأؤمن بالرسول ﷺ، وأؤمن بما جاء عن الله سبحانه وتعالى في كتابه، أو بما جاء عن رسول الله ﷺ في سنته على مراد الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، وهذا منتهى الإيمان والتصديق والتسليم.

قــولـه: «وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم»: أي على هذه العقيدة سار السلف الصالح، ومن جاء بعدهم من الأئمة.

والسلف لغةً: مَن سبق، والخلف لغة: من لَحِق؛ فمن تقدم سلف، ومن جاء بعدهم فهو خلف لهم.

والسلف اصطلاحًا: هم من سار على منهج الرسول ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، إلى عصرنا الحاضر.

والخلف اصطلاحًا: هم من حرَّفوا، وغيَّروا، وبدلوا.

والمراد بالسلف هنا المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أما المراد بالخلف فهو المعنى اللغوي، أي الذين جاءوا بعد السلف.

وأئمة الخلف: هم الأئمة الذين جاءوا بعد السلف، وساروا على منهج السلف الصالح.

ولم يقصد ابن قدامه رحمه الله: أئمة الخلف من أهل البدع.

قــولـه: «كلهم متفقون على الإقرار»: أي على الإقرار والإيمان والإثبات للصفات الواردة في كتاب الله سبحانه وتعالى، وفي سنة رسوله ﷺ.

قــولــه: «والإمرار»: أي أنهم يمرونها، ولا يتعرضون لتأويلها، أو لتحريفها.

قــولــه: «والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وفي سنة رسول الله من غير تعرضٍ لتأويله»: أي يثبتون ما ورد من صفات الله ﷻ في القرآن والسنة النبوية الصحيحة، ولا يأولونها.

فمنهج السلف في الأسماء والصفات: إثبات، وإمرار، وإقرار.

فالإثبات: هو إثبات نصوص الصفات.

والإمرار: هو عدم الخوض في معناها.

والإقرار: هو القبول، والتسليم.

فصل في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أُمِرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداءِ بمنارهم، وحُذِّرنا المحدثات وأُخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[1].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»**.

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كلاما معناه: قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كَفُّوا، ولَهُم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغِب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي،

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢)، عن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ.

فما فوقهم محسِّر، وما دونهم مقصِّر، لقد قصَّر عنهم قوم فجفُوا وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.

وقال محمد بن عبد الرحمن الأذرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم، قال فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل، فقال الخليفة - وكان حاضرًا -: لا وسَّع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

وهكذا من لم يسعه ما وسِع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسَّع الله عليه.

الشَّرح

قوله: «وقد أُمرنا باقتفاءِ آثارهم، والاهتداءِ بمنارِهم»: أي

أمرنا الله ورسوله ﷺ بأن نقتدي بهؤلاء السلف الصالح، وأن نهتدي بما بيَّنوه لنا ووضحوه.

قوله: «وحُذِّرنا المحدثاتِ، وأخبرنا أنها من الضلالات»: أي حذرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ محدثات الأمور، وأخبرنا الرسول ﷺ أن هذه المحدثات من الضلالات.

قوله: «فقال النبيُّ ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديينَ من بَعْدي، عَضُّوا عليها بالنواجذِ»: أي الزموا وتمسكوا بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين.

والسنة: ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه من عقيدة أو عمل.

واتباع السنة واجب لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة»: أي اجتنبوا البدع في الدين؛ لأنها ضلالات.

والبدعة: هي أمر مُحْدَثٌ في الدين، فيه مشابهة لما ورد في الشريعة.

وهي محرمة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء:١١٥].

قوله: «وقال عبدُالله بن مسعودٍ رضي الله عنه: «اتبعوا»: أي التزموا آثار النبي ﷺ، من غير زيادة، ولا نقص.

قوله: «ولا تبتدعوا»: أي لا تحدثوا بدعة في الدين.

قـوله: «فقد كُفيتم»: أي كفاكم السابقون أمر الدين؛ حيث أكمل الله سبحانه وتعالى الدين لنبيه ﷺ وأنزل قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، فلا يحتاج الدين إلىٰ تكميل.

قـوله: «وقال عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِفْ حيث وقف القوم»: أي لا تتعدىٰ ما قاله وفعله السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

قـوله: «فإنهم عن علم وقفوا»: أي ليس عن جهل لم يتكلموا.

قـوله: «وببصر نافذ كَفُّوا»: أي ليس عن عجز كفُّوا، بل علىٰ بصيرة.

والبصر: بصيرة العقل والقلب، ونافذ: أي ثاقب.

قـوله: «وَلَهُمْ علىٰ كشفها كانوا أقوىٰ»: أي أن السلف الصالح رحمهم الله لو أرادوا أن يخوضوا في تلك المسائل بعقولهم لاستطاعوا أن يخوضوا فيها.

قـوله: «وبالفضل لو كان فيها أحرىٰ»: أي كانوا أسبق إلىٰ الفضل من غيرهم في جميع الأمور؛ لحديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1].

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

قـولـه: «فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم»: لأن هذه الأمور المحدثة مخالفة لهدي السلف.

قـولـه: «ورغِب عن سنتهم»: أي كل ما ابتدعه المتأخرون مخالف لهدي السلف، وسنتهم.

قـولـه: «ولقد وصفوا منه ما يشفي»: أي كل ما نقلوه إلىٰ مَن بعدهم يشفي القلوب، فمن اقتصر علىٰ هديهم انشرح صدره وشُفي قلبه.

قـولـه: «وتكلموا منه بما يكفي»: أي لا حاجة لنا في النظر في كلام المتكلمين.

قـولـه: «فما فوقَّهم مُحَسِّرٌ»: أي من زاد عليهم فهو منقطع، ولن يصل.

قـولـه: «وما دونهم مُقصِّرٌ»: أي من سار علىٰ غير نهجهم فهو مقصر لم يقبل.

قـولـه: «لقد قَصَر عنهم قومٌ فَجَفَوا، وتجاوزهم آخرون فَغَلَوْا»: أي من قصَّر عن اتباع منهج هؤلاء السلف فهو مقصر، ومن زاد عليهم فقد تجاوز الحد المسموح له.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

قــولـه: «وإنهم فيما بَيْن ذلك لعلى هدًى مُستقيم»: أي هؤلاء السلف والصحب الكرام رحمهم الله تعالىٰ سلكوا طريقًا وسطًا بين المقصرين والغلاة.

قــولـه: «وقال الإمامُ أبو عمرو الأوزاعيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»: هو أحد الأئمة المشهورين، وهو من أئمة التابعين، وقد توفي رَحِمَهُٱللَّهُ سنة سبع وخمسين ومائة.

قــولـه: «عليك بآثار من سَلَفَ وإن رَفضَكَ الناسُ»: أي الزم آثار السلف رحمهم الله، وإن ابتعد عنك الناس، ورفضوا منهجك، أو رفضوا طريقتك فلا تعبأ بهم، ما دمت سائرا علىٰ منهج السلف الصالح متبعًا لهم.

قــولـه: «وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقولِ»: أي إياك أن تجعل معتمدك آراء الرجال ولو زينوه لك بالعبارات المنمّقة وغيرها؛ فإياك أن تعتمد عليها وتترك الكتاب والسنة.

قــولـه: «وقال محمدُ بنُ عبد الرحمنِ الأذْرَميُّ»: هو عبد الله بن محمد بن إسحاق الجزري أبو عبد الرحمن الأذرمي، تتلمذ علىٰ وكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة وغيرهم، روىٰ عنه أبو داود، والنسائي، وعبد الله بن الإمام أحمد، وأبو يعلىٰ الموصلي وغيرهم.

قــولـه: «لرجلٍ»: هو شيخ المعتزلة في وقته: أحمد بن أبي دؤاد.

قــولـه: «تكلَّم ببدعةٍ، ودعا الناس إليها»: هي بدعة القول بخلق القرآن.

قــولـه: «هل عَلِمها رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها؛ قال: فشيءٌ لم يعْلَمْهُ هؤلاءِ، أعَلمتَه أنتَ؟ قال الرجلُ، فإني أقولُ: قد علموها؛ قال: أفوسعَهم ألا يتكلموا به، ولا يَدْعوا الناسَ إليه أم لم يَسَعْهم ؟ قال: بلى وَسِعَهم؛ قال: فشيءٌ وسع رسولَ الله ﷺ وخلفاءه لا يسعُك أنت؟ فانقطعَ الرجلُ؛ فقال الخليفةُ: وكان حاضرًا لا وسَّعَ الله على من لم يسَعْهُ ما وسعهم»: بنىٰ الأذرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناظرته هذه علىٰ مراحل ليعبر من كل مرحلة إلىٰ التي تليها حتىٰ يفحم خصمه:

المرحلة الأولىٰ: «**العلم**» فقد سأله الأذرمي: هل علم هذه البدعة النبي ﷺ، وخلفاؤه؟

قال ابن أبي دؤاد: لم يعلموها؛ وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي ﷺ وخلفاءه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة علىٰ البدعي إذا كانوا لا يعلمونه ولذلك انتقل به الأذرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله ﷻ عن رسوله ﷺ، وخلفائه الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟

فتراجع ابن أبي دؤاد وقال: أقول: قد علموها فانتقل به إلىٰ:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أي أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

فأجاب ابن أبي دؤاد: بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام.

فقال له الأذرمي: فشيء وسع رسول الله ﷺ، وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب؛ لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأي الأذرمي، ودعا بالضيق علىٰ من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ، وخلفاءه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والعبرة من هذه القصة في منهجية هذا الإمام، وكيف أنه استطاع اسكات خصمه لا بحجج عقلانية، وإنما بالحجة القوية والواضحة في عرضها، وباعتماده علىٰ المنهج الصحيح في الاستدلال وهو الرجوع إلىٰ ما كان عليه السلف الصالح وخير القرون علما وعملا وتطبيقا.

قــولـه: «وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم، والراسخين في العلم، من تلاوة آيات الصفات»: يعني الواردة في القرآن العظيم.

قــولـه: «وقراءة أخبارها»: أي أخبار الصفات الواردة في سنة رسول الله ﷺ.

قــولـه: «وإمرارها كما جاءت»: أي من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

قــولـه: «فلا وَسَّعَ الله عليه»: أي الذي يرىٰ أنه أعلم من النبي ﷺ، وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا وسع الله عليه.

فصل في ذكر بعض آيات الصفات

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمما جاء من آيات الصفات قول الله ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧].

وقوله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وقوله تعالى إخبارًا عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠].

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله تعالى في الكفار: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨].

وقوله تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

الشَّرْح

لم يذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الصفات؛ مثل العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام؛ لأن هذه الصفات السبع ليس عليها خلاف في الجملة بين أهل السنة والجماعة، والمبتدعة.

قـولـه: «فممَّا جاء من آيات الصفات قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾»: فيها إثبات صفة الوجه لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ إثبات الوجه لله عَزَّ وَجَلَّ، فيجب إثباته له بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

٣- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

قـولـه: «وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾»: فيها إثبات صفة اليدين لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ إثبات اليدين لله؛ فيجب إثباتهما له بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالىٰ تليقان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بأربعة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

٣- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٤- أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعا كقوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

فائدة: كيف نجمع بين الأوجه التي جاءت في صفة اليدين؟

الأول: الإفراد كقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[المُلك:١].

الثاني: التثنية كقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤].

الثالث: الجمع كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾[يس:٧١].

وجه الجمع بين هذه الوجوه أن نقول:

الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ولا ينافي الثنتين.

وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذ لا ينافي التثنية، علىٰ أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان فإذا حمل الجمع علىٰ أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلا.

قــولـه: «وقوله تعالى إخبارًا عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾»: فيها إثبات صفة النفس لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ إثبات النفس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ الوجه اللائق به؛ فيجب

إثباتها لله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قـولـه: «وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾»: فيهما إثبات صفة مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة، وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت المجيء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد فسره أهل التعطيل بمجيء أمره؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

قـولـه: «وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾»: فيها إثبات صفة الرضا لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ إثبات الرضا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

قــولـه: «وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾»: فيها إثبات صفة المحبة لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت المحبة لله؛ فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

قــولـه: «وقوله تعالى في الكفار: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾»: فيها إثبات صفة الغضب لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وفسره أهل التعطيل بالانتقام؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بأربعة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

٤- أن الله تعالىٰ غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾[الزُّخرُف:٥٥]، أي أغضبونا ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل علىٰ أنه غيره.

قــولـه: «قوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾»: فيها إثبات صفة السخط لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت السخط لله ﷻ؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وفسره أهل التعطيل بالانتقام؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

قــولـه: «وقوله تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾»: فيها إثبات صفة الكره لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت ذلك لله ﷻ؛ فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهي كراهة حقيقية من الله تليق به.

وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

فصل في ذكر بعض أحاديث الصفات

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن السنة، قول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا**»(١).

وقوله: «**يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة**»(٢).

وقوله: «**يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة**»(٣).

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته، نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحْدَثِين، ونعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) **حسن**: رواه أحمد (٢٨/ ٦٠٠)، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه العلامة الحويني حفظه الله.
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تعالى بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[المُلك:١٦].

وقول النبي ﷺ: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**»[(١)].

وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[(٢)] رواه مسلم، ومالك بن أنس، وغيرهما من الأئمة.

وقال النبي ﷺ لحصين: «**كم إلها تعبد؟ قال سبعة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال من لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء، قال فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين، فأسلم، وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللَّهُمَّ ألهمني رشدي، وقني شر نفسي»**»[(٣)].

وفيما نُقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء.

وروى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «**إن ما بين سماء**

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٣٨٩٢)، وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري، قال الحافظ بن حجر في «التقريب» منكر الحديث.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وقال: غريب.

إلى سماء مسيرة كذا وكذا...»، وذكر الخبر إلى قوله: «وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك»[(١)].

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقيل: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج.

------------ الشَّـرْح ------------

قـولـه: «ومن السنة، قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا»: فيه إثبات صفة النزول لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت النزول لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو نزول حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التعطيل بنزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بأربعة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (٣/ ٢٩٢)، وضعفه الألباني.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

٤- أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له.

قـولـه: «وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»: أي لم يستجره الشيطان ويوقعه في المعاصي، وفي الحديث إثبات صفة العجب لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت العجب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**»[(١)].

وفسره أهل التعطيل بالمجازاة؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

فائدة: العجب نوعان:

أحدهما: أن يكون صادرًا عن خفاء الأسباب علىٰ المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لأن الله لا يخفىٰ عليه شيء.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٠١٠).

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالىٰ.

قــولـه: «وقوله: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة»: فيه إثبات صفة الضحك لله تعالىٰ، وقد أجمع السلف علىٰ إثبات الضحك لله؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالىٰ.

وفسره أهل التعطيل بالثواب؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

قــولـه: «فهذا وما أشبهه مما صح سنده، وعُدِّلَتْ رواته، نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بِسِمَات المُحْدَثين»: أي نؤمن بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ من صفات الله ﷻ، ولا نرده، ولا ننكره، ولا نتأوله بشيء يخالف ظاهره، ولا نشبه بصفات المخلوقين، ولا علامات المخلوقين.

قــولـه: «ونعلم أن الله ﷻ لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ:١١]، وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه»: أي كل ما خطر ببالك

فالله غير ذلك.

قوله: «ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]»: أجمع السلف علىٰ إثبات استواء الله علىٰ عرشه؛ فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه: العلو والاستقرار علىٰ وجه يليق بالله تعالىٰ.

وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بخمسة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

٤- أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنىٰ.

٥- أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكا لله ثم استولىٰ عليه بعد.

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك.

وشرعًا: العرش العظيم الذي استوىٰ عليه الرحمن سبحانه وتعالى، وهو أعلىٰ المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم، وبأنه كريم، وبأنه مجيد.

فائدة: اختلف الناس في الكرسي على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الكرسي هو العرش.

القول الثاني: الكرسي هو علم الله.

القول الثالث: الكرسي هو موضع القدمين.

والصحيح القول الثالث؛ لقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره**»[١].

قوله: «وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [تبارك: ١٦]، وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك»، وقال ﷺ للجارية: أين الله ؟ قالت: في السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم، ومالك بن أنس، وغيرهما من الأئمة، وقال النبي ﷺ: لحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كم إلها تعبد؟ قال سبعة، ستة في الأرض وواحدا في السماء، قال: من لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء، قال فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين، فأسلم، وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللَّهُمَّ ألهمني رشدي، وقني شر نفسي»:

أجمع السلف علىٰ إثبات العلو لله، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله.

فائدة: العلو نوعان:

١- **علو صفة:** بمعنىٰ أن صفاته تعالىٰ عليًا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥].

٢- **علو ذات:** بمعنىٰ أن ذاته تعالىٰ فوق جميع مخلوقاته ودليله، قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾[المُلك:١٦].

---

(١) **صحيح:** رواه الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٣١٠)، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وقالوا معناه: إن في السماء ملكه، وسلطانه، ونحوه؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بستة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٣- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

٤- أن ملك الله، وسلطانه في السماء، وفي الأرض أيضا.

٥- دلالة العقل عليه لأنه صفة كمال.

٦- دلالة الفطرة عليه؛ لأن الخلق مفطورون علىٰ أن الله في السماء.

فائدة: ما معنى كون الله في السماء؟

المعنىٰ الصحيح لكون الله في السماء: أن الله ﷻ علىٰ السماء؛ ففي بمعنىٰ علىٰ، وليست للظرفية لأن السماء لا تحيط بالله، أو أنه في العلو فالسماء بمعنىٰ العلو وليس المراد بها السماء المبنية.

قوله: «وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء، وروى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا...»، وذكر الخبر إلى قوله: «وفوق ذلك العرش،

والله سبحانه وتعالى فوق ذلك»: هذه الأخبار ضعيفة، ويغني عنها ما سبق.

قوله: «فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله، وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه، ولا تمثيله»: نقل هذا الإجماع ابن بطة، وابن تيمية، وابن القيم رحمهم الله تعالىٰ.

قوله: «سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله»: ولد رحمه الله سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ، وهو من عصر تابعي التابعين.

قوله: «فقيل: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، **كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول»:** أي معلوم المعنىٰ، وهو العلو، والاستقرار.

قوله: «والكيف غير معقول»: أي كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل.

قوله: «والإيمان به»: أي الاستواء.

قوله: «واجب»: لوروده في الكتاب والسنة.

قوله: «والسؤال عنه»: أي عن الكيف.

قوله: «بدعة»: لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم.

قوله: «ثم أمر بالرجل فأخرج»: أي من المسجد خوفًا من أن يفتن الناس في عقيدتهم، وتعزيرا له بمنعه من مجالس العلم.

فصل في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤].

وقال سبحانه: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١].

وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾ [طه:١١-١٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]،

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»**، روى ذلك عن النبي ﷺ[١].

وروى عبد الله بن أُنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: **«يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»**، رواه الأئمة[٢] واستشهد به البخاري[٣].

وفي بعض الآثار أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت، فقال لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: **«أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك»**، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: **«بل كلامي يا موسى»**.

الشَّرْح

الكلام صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غير مخلوقة، وكلامه

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٧٤٨)، وأحمد (١/ ٩٠)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥/ ٤٣٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري معلقًا بصيغة التمريض (٩/ ١٤١).

سبحانه وتعالى يتفاضل من حيث دلالته، ومن حيث تأثيره.

أما من حيث الدلالة فينقسم إلىٰ: واجب ومستحب، وناسخ ومنسوخ، وأمر ونهي.

وأما حيث التأثير فمن يسمع قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة:٢٢]، ليس كمن يسمع قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[النساء:١١].

وقد أجمع السلف علىٰ ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو كلام حقيقي يليق بالله، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

فائدة: قد خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولىٰ: الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله، وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه، وإضافته إلىٰ الله إضافة خلق، أو تشريف مثل ناقة الله، وبيت الله.

ورد عليهم أهل السنة بما يلي:

١- أنه خلاف إجماع السلف.

٢- أنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم، وليس شيئا قائمًا بنفسه منفصلًا عن المتكلم.

٣- أن موسىٰ سمع الله يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]، ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا: كلام الله معنىً قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنىٰ القائم بنفس الله.

ورد عليهم أهل السنة بما يلي:

١- أنه خلاف إجماع السلف.

٢- أنه خلاف الأدلة؛ لأنها تدل علىٰ أن كلام الله يُسمع، ولا يسمع إلا الصوت، والمعنىٰ القائم بالنفس.

٣- أنه خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

قوله: «ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم»: أي قديم النوع حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنىٰ علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.

قوله: «يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه:١٣].

قوله: «وسمعه جبريل عليه السلام»: لقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

قوله: «ومن أذن له من ملائكته»: لحديث ابن عباس رضي الله عنهما،

أن النبي ﷺ قال: «.. وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ، إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ»[(١)].

قــولـه: «ورسله»: قد ثبت أن الله كلم محمدًا ﷺ ليلة المعراج، وكلم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ جبل الطور.

قــولـه: «وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه»: لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ»[(٢)].

قــولـه: «ويأذن لهم فيزورونه»: لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ»[(٣)].

قــولـه: «وروى عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة عُرَاةً حفاةً غُرْلا بُهْمَا فيناديهم بصوت»: هذا فيه رد علىٰ من قال: إن كلام الله نفسي خشية أن يشبهوه بكلام البشر.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٢٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٤٩)، وضعفه الألباني.

قـولـه: «وفي بعض الآثار: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة رأى النار..»:

هذا الحديث من الإسرائليات، وهو ضعيف، ذكره المصنف ليدل علىٰ أن حتىٰ كتب أهل الكتاب فيها أن الله يتكلم، وأن كلامه يسمع، وقد أغنىٰ عنه ما سبق.

فصل في القرآن الكريم

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، مَن قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت:٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء:٨٨].

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَن

﴿نُؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ:٣١].

وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدَّثر:٢٥].

فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدَّثر:٢٦].

وقال بعضهم: هو شعر.

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس:٦٩]، فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

وقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس:١٥]، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم.

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩]، بعد أن أقسم على ذلك.

وقال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريم:١]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ [الشورى:١-٢]، وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة**»(١) حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه**»(٢).

وقال أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «**إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه**».

وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «**من كفر بحرف منه فقد كفر به كله**».

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٧٤)، بلفظ: «أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَكَفَّارَةُ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ، وَرَفْعُ عَشْرِ دَرَجَاتٍ»، وفي سنده نهشل الورداني، وهو متروك.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٨٣٠)، وأحمد (٣٧/ ٥٠٧)، وصححه الألباني، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

واتفق المسلمون على عَدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

الشَّرْح

قــولـه: «ومن كلامِ الله تعالى: القرآنُ العظيمِ»: أي هو بعض كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالله تعالىٰ تكلم بالتوراة، وبالإنجيل، وبالزبور، وكلم أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والقرآن الكريم هو كلام الله تعالىٰ، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه.

قــولـه: « وهو كتابُ الله المبين»: أي الواضح، فهو مُبَيَّن مُفَصَّلٌ مُحكمٌ، كما أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء:١٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾[النمل:١].

قــولـه: «وحَبْلُه المتين»: لأن من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ.

قــولـه: «وتنزيلُ ربِّ العالمين»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾[الشعراء:١٩٢].

قــولـه: «نزل به الرحُ الأمينُ»: أي جبريل، والأمين: وصف به؛

لأنه كان أمين وحي الله ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء:١٩٣].

قــولـه: «على قلبِ سيد المرسلين»: أي محمد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٣].

قــولـه: «بلسانٍ عربيٍّ مبين»: لقوله تعالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥]، والحكمة من ذلك هي تدبره وفهمه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف:٢].

قــولـه: «مُنَزّل غير مخلوقٍ»: خلافا للمعتزلة.

قــولـه: «منه بدأ»: أي بدأ من الله تعالىٰ؛ لأن الله هو الذي تكلم به.

قــولـه: «وإليه يعودُ»: أي إلىٰ الله ﷻ يعود، ويرجع في آخر الزمان فلا يبقىٰ في الأرض منه آية.

فعن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**لَيُنْتَزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ**»، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَيْفَ يُنْتَزَعُ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: «**يُسْرَىٰ عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَىٰ فِي قَلْبِ عَبْدٍ وَلَا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ**»، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء:٨٦][1].

---

(١) صحيح: رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٨٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد»، صـ(٨٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١٩٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥٩٨٠)، =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وأما إليه يعود: فإنه يسري به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقىٰ في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف**»[(١)].

قــولـه: «وهو سورٌ»: مفرده سورة، والقرآن مشتمل علىٰ سور، وكل سورة مشتملة علىٰ آيات.

قــولـه: «مُحْكماتٌ»: أي متقَنات.

قــولـه: «وآياتٌ بينات»: أي واضحة الدلالة.

قــولـه: «وحروفٌ وكلماتٌ»: خلافا لمن يقول: إن الله يتكلم بغير حرف ولا صوت، بل قالوا: إن كلام الله نفسي، وقال بعضهم: إن هذا القرآن العربي ليس كلام الله، وإنما هو عبارة أو حكاية عن كلام الله.

قــولـه: «من قرأه فأعربه فله بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ»: لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[(٢)].

ومعنىٰ أعربه: تلاه تلاوة صحيحة ولم يلحن فيه.

= والطبراني في «الكبير» (٨٦٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٣٨)، والداني في «السنن» (٢٦٩)، وصححه ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ١٦) حيث قال: «**سنده صحيح لكنه موقوف**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧).

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ١٧٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني.

قوله: «له أوَّلٌ وآخر»: أي أن القرآن له أول وله آخر، فأوله سورة الفاتحة، وآخره سورة الناس.

قوله: «وأجزاءٌ وأبعاض»: أي القرآن ثلاثون جزءًا، وهذا رد علىٰ من يزعم أن كلام الله واحد، كالأشعرية الذين يقولون: كلام الله واحد لا يتبعض ولا يتجزأ.

قوله: «متْلُوٌّ بالألسنِة»: فالمتلو بالألسنة هو كلام الله، لكن الألسنة التي تَلَتْ، والصوت الذي تُلي به يُنسب للمخلوق.

قوله: «محفوظٌ في الصدور»: أي حفظه الله في صدور عباده، فالصدور الحافظة مخلوقة، والقرآن المحفوظ غير مخلوق.

قوله: «مسموعٌ بالآذان»: فإذا سمع الإنسان القارئ يقرأ القرآن، فإنما يسمع كلام الله تعالىٰ.

قوله: «مكتوبٌ في المصاحفِ»: أي إذا كتب هذا المصحف علىٰ الأوراق فهذا المكتوب هو كلام الله، فكلام الله سبحانه وتعالى أينما تصرف، وكيفما تصرف هو كلام الله، وأما صوت القارئ، وصدر الحافظ، وأذن السامع، والمداد والحبر، والورق المكتوب عليه كل هذا مخلوق.

قوله: «فيه محكمٌ متشابهٌ»: لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران:٧].

والقرآن كله محكم أي متقَن غاية في الإتقان.

وكله متشابه أي يشبه بعضه بعضا، في الإتقان.

وفيه آيات محكمات، وأخر متشابهات، والتشابه الخاص أمر نسبي بمعنىٰ أنه قد يشتبه علىٰ بعض الناس ولا يشتبه علىٰ الآخرين.

قوله: «وناسخٌ ومنسوخٌ»: الناسخ هو الرافع، والمنسوخ هو المرفوع، والنسخ هو إزالة حكم متقدم بحكم متأخر عنه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[البقرة:١٠٦]؛ أي ما نُزِل، ونرفع من حكم آية، أو نمحها؛ وهذا هو المنسوخ نأتِ بأفضل منها، وهذا هو الناسخ.

فائدة: المنسوخ ثلاثة أقسام:

١- ما نُسِخت تلاوته، وحكمه.

٢- وما نُسختُ تلاوته، وبقي حكمه.

٣- وما نُسخ حكمه، وبقيت تلاوته.

قوله: «وخاصٌ وعام»: أي فيه آيات خاصة بالنبي ﷺ، أو خاصة ببعض الأحوال، وفيه آيات تأتي للعموم.

قوله: «وأمرٌ ونهيٌ»: أي من آياته ما هو مأمور به، ومنه ما هو منهي عنه.

قوله: «﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٤٢]»: أي ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى.

قــولـه: «قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء:٨٨]»: أي مظاهرًا، ومساعدًا، ومعاونا، فلا يمكن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بل ولا يمكن أن يأتوا بسورة منه، ولا بآية، وهذا التحدي للإنس والجن جميعًا لا يزال باقيا إلىٰ آخر الزمان، ولن يستطيعوا ذلك أبدًا.

قــولـه: «وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [سبأ:٣١]»: أي إن هذا المتلو بالأحرف العربية والكلام العربي هو كلام الله، وهو يدل علىٰ أن الله تعالىٰ تكلم به بحرف وصوت، ولهذا قال الكفار: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾، أي القرآن المعروف عندهم.

قــولـه: «وقال بعضهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾ [المدَّثر:٢٥]»: قائل هذا هو الوليد بن المغيرة؛ وهذا لبيان أن دعواه أنه قول البشر كذب.

قــولـه: «فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾ [المدَّثر:٢٦]»: هذا وعيد من الله لمن قال المقالة السابقة، وهو أنه سيصليه جهنم.

قــولـه: «وقال بعضُهم: هو شعرٌ، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩﴾ [يس:٦٩]»: أي ما علَّمنا الرسول ﷺ الشعر، وما ينبغي للرسول ﷺ، ولا يصلح له أن يكون شاعرًا.

قــولـه: «فلما نفى عنه أنه شعرٌ وأثبته قرآنا، لم يبق شبهةٌ لذي لبٍ في أن القرآن هو هذا الكتابُ العربيُّ، الذي هو كلماتٌ وحروفٌ وآياتٌ؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحدٌ: إنه شعرٌ»: أي أن هذا القرآن الكريم لو لم يكن كلمات، وحروفا فإنه لا يمكن أن يشبه بالشعر.

قــولـه: «وقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾»: أي إن كنتم في شك من هذا القرآن المنزل علىٰ محمد ﷺ فأتوا بسورة من مثله.

قــولـه: «ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثلِ ما لا يُدْرى ما هو ولا يُعْقَل»: أي لا يمكن أن يتحداهم إلا بشيء يفهمونه، ويسمعونه، وهو من جنس ما يعهدونه من الكلام.

قــولـه: «وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾»: أي إذا تتلىٰ علىٰ هؤلاء المكذبين آيات الله القرآنية الواضحة المبينة للحق أعرضوا عنها.

قــولـه: «﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾»: أي جئنا بقرآن غيره من نمط آخر، أو بدِّله من وضع إلىٰ وضع آخر.

قــولـه: «﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾»: لأنه وحي من الله ﷻ.

قــولـه: «فأثبتَ أن القرآنَ هو الآيات التي تتلى عليهم»: هذا

هو الشاهد من إيراده لهذه الآية، وهو بيان مذهب أهل السنة والجماعة في أن هذا القرآن كلام الله سبحانه وتعالى.

قوله: «وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾»: الذين أوتوا العلم هم العلماء؛ والشاهد من الآية الدلالة علىٰ أن المحفوظ في الصدور هو كلام الله سبحانه وتعالى.

قوله: «وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾»: أي محفوظ من كل تبديل، وتحريف، وتغيير.

قوله: «بعد أن أقسم على ذلك»: يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٨].

قوله: «وقال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورىٰ: ١-٢]، وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة»: ذكر الله هذه الآيات للتحدي، وغالبا ما يُذكر بعدها القرآن الكريم.

قوله: «وقال النبيُّ ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربَهُ»»: أي جوَّده.

قوله: «فله بكلِّ حرفٍ منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه، فله بكلِّ حرفٍ حسنة». حديث صحيح»: هذا الحديث ضعيف فيه نوح ابن أبي مريم وهو متروك، ويغني عنه حديث عبد اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ**

حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١).

قوله: «وقال ﷺ: «اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمونَ حروفَه إقامةَ السَّهم»: أي إقامة صحيحة دقيقة فهم يقرؤونه، ويتلونه تلاوة مجوَّدة.

قوله: «لا يجاوزَ تراقيهم»: هذا لضعف إيمانهم، والتُّرقُوَة هي الحَلق؛ أي لا يجاوز حلوقهم، لأنهم لا يتلونه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: «يتعجَّلون أجْرَهُ»: أي ثوابه في الدنيا إما عن طريق أخذ الأجرة، وإما عن طريق المدح.

قوله: «ولا يتأجَّلونه»: أي لا يقصدون بقراءة القرآن وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: «وقال أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إعرابُ القرآنِ أحبُّ إلينا من حفظِ بعضِ حروفِهِ»: أي الذي يقرأ القرآن قراءة جيدة أحب ممن يحفظه حفظًا خطأً، وهذا الأثر ضعيف والشاهد تقرير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن القرآن حروف.

قوله: «وقال عليٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كفر بحرفٍ منه، فقد كفر به كلِّهُ»: هذا الأثر رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وهو أثر موقوف صحيح.

فائدة:

اتفق المسلمون علىٰ عدِّ سور القرآنِ وآياته، وكلماتِهِ، وحروفِهِ،

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني.

ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ من جحد من القرآن سورةً، أو آيةً، أو كلمةً، أو حرفا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجَّةٌ قاطعةٌ علىٰ أنه حروفٌ.

أما الحروف المختلف فيها فتخرج من هذا الإجماع كقوله تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ قرأها بعض القراء بدون من ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

وكقوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]، قرأها بعض القراء: ﴿مَلكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحديد:٢٤]، قرأها بعض القراء بدون هو: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ .

فصل في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطفِّفين:١٥]، فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال النبي ﷺ: **«إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»**[1] حديث صحيح متفق عليه، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

الشَّرْح

قــولــه: «والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه»: قد أجمع السلف علىٰ رؤية المؤمنين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

دون الكفار، وهي رؤية حقيقية تليق بالله.

وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله، أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين؛ ورد عليهم أهل السنة والجماعة بأربعة أشياء:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢- أن قولهم خلاف طريقة السلف.

٣- أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٤- أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة.

قوله: «قال الله تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ»: من النُّضْرَة، والبهاء، والنور.

قوله: «فلما حُجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق»: استنبط العلماء من هذه الآية: أن هؤلاء الكفار لما كانوا معاقبين بالحجاب، وأنهم لا يرون ربهم ﷻ، دل علىٰ أن المؤمنين الصادقين لا يحجبون عن ربهم ﷻ.

قوله: «وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما تَرَوْن هذا القمر، لا تضامّونَ في رؤيته»: لا تضامون: يجوز ضم التاء وفتحها وهو بتشديد الميم من الضم أي لا ينضم بعضكم إلىٰ بعض ولا يقول: أرنيه، بل كل ينفرد برؤيته وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم يعني لا ينالكم ظلم بأن يرىٰ بعضكم دون بعض بل

تستوون كلكم في رؤيته تعالىٰ.

قــولـه: «وهذا تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لا للمرئيِّ بالمرئيِّ، فإِن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير»: أي ليس معناه أن صورة الله كصورة القمر.

فصل في القضاء والقدر

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]،

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[الأنعام:١٢٥].

روى ابن عمر أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للنبي ﷺ: **«ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فقال جبريل: صدقت»**[(١)] رواه مسلم.

وقال النبي ﷺ: **«آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»**[(٢)].

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: **«وقني شر ما قضيت»**[(٣)].

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره وفعل نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا على

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٨).

(٢) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٥٨٥٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٣٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٥٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: **«الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْقِيَامَةِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ»**.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، وحسنه، والنسائي (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني.

معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٧]، فدل على أن للعبد فعلًا وكسبًا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

الشَّرْح

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان.

ومن الأدلة علىٰ وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[الأحزاب:٣٨].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ لما سأله جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الإيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[(١)].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالمَوْتِ، وَبِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ»[(٢)].

فائدة: قد ضلت فيه طائفتان:

الأولىٰ: الجبرية: الذين قالوا: إن الإنسان مجبور علىٰ فعل نفسه، أي كالريشة في مهب الريح.

الثانية: القدرية: الذين قالوا: إن الإنسان هو الذي يخلق فعل نفسه، ولا عَلاقة لله بفعله.

قوله: «ومن صفات الله تعالى أنه الفعَّالُ لما يريدُ، لا يكونُ شيءٌ إلا بإرادته، ولا يخرجُ شيءٌ عن مشيئتِهِ»: الإرادة، والمشيئة هنا بمعنىٰ واحد، وقصد بالإرادة الإرادة الكونية؛ وهناك فروق بينهما؛ حيث إن المشيئة لم ترد في كتاب الله تعالىٰ إلا كونية، أما الإرادة، فقد وردت في كتاب الله تعالىٰ وفي السنة علىٰ قسمين:

القسم الأول: الإرادة القدرية الكونية التي هي مرادفة للمشيئة، وهذه الإرادة الكونية الشاملة، وهي المقصودة هنا في كلام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

القسم الثاني: الإرادة الدينية الشرعية، وهذه الإرادة الشرعية مختصة

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٤)، وأحمد (٢٧٤٩٠)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٥)، وأحمد (١١١٢)، وصححه الألباني.

بما يحبه الله ويرضاه من أمور الشرع.

وهاتان هما المرتبتان الأولىٰ الثانية من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: وهما العلم والمشيئة.

قوله: «وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحدٍ عن القدرِ المقدورِ»: كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[١].

قوله: «ولا يتجاوزُ ما خُطَّ في اللوح المسطورِ»: هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: وهي الكتابة؛ فكل ما يقع من أفعال العباد مكتوب عند الله ﷻ كما قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

قوله: «أراد ما العباد فاعلوه»: هذه الإرادة الكونية.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٥١٦).

قــولـه: «ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه»: لقوله تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[البروج:١٦].

قــولـه: «خلق الخلق وأفعالهم»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات:٩٦]، وهذه هي المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر وهي الخلق.

قــولـه: «وقَدَّرَ أرزَاقهم وآجَالهم»: أي أن الله سبحانه وتعالى كتب رزق كل عبد وأجله، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

قــولـه: «يهدي من يشاءُ برحمتِهِ، ويضلُّ من يشاءُ بحكمتِهِ»: أي الله سبحانه وتعالى عدل لا يظلم أحدا مثقال ذرة.

قــولـه: «﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾»: أي هو الحاكم الذي لا معقِّب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

قــولـه: «﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾»: أي وهو سائلٌ خلقه عما يعملون.

قــولـه: «**قال الله تعالى:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾»: أي قدَّر قدرا، وهدىٰ الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة علىٰ إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل خلقها.

قــولـه: «**وقال تعالى:** «﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾»: أي أنه خلق الأشياء كلها، وقدرها تقديرًا، فجرت المقادير علىٰ ما قدَّر وخلق.

قــولـه: «**قال** ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾»: أي في الآفاق وفي نفوسكم.

قــولـه: «﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾»: أي من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة.

قــولـه: «**وقال تعالى:** ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾»: أي ييسره له وينشطه ويفتح علىٰ قلبه، فإذا شرح الله صدره للإسلام استجاب وآمن واهتدىٰ.

وهذه هي الإرادة الكونية الشاملة التي بمعنىٰ المشيئة، فتشمل الخير والشر.

قــولـه: «﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾»: أي لا يتسع لشيء من الهدىٰ، وهذا يكون بذنب العبد كإعراضه عن قبول الحق، أو تكبره عليه.

قــولـه: «وروى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال للنبيُّ ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره؛ فقال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: صدقت»: هذا دليل الإيمان بالقضاء والقدر من السنة النبوية.

قــولـه: «وقال النبيُّ ﷺ: «آمنت بالقدر خيره وشَرِّه»: أي شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن فعل الله ليس فيه شر؛ لذا قال النبي ﷺ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[١].

ومثال ذلك: أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق ذوات السموم، وهي شر بالنسبة إلىٰ الإنسان، أما باعتبار نسبتها إلىٰ الله فهي خير محض.

قــولـه: «وحلوِهِ ومُرِّهِ»: أي ما يحبه العبد ويرضىٰ عنه سواء كان طاعة لله، أو شهوة مباحة، وما لا يحبه ولا يرضاه، فيجب علىٰ العبد أن يؤمن بجميع قدر الله تعالىٰ.

فائدة : الفرق بين كون القدر خيراً وشراً، وكونه حلواً ومراً.

قال ابن القيم: «**الحلاوة والمرارة تعود إلىٰ مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشر يرجع إلىٰ حسن العاقبة وسوئها، فهو حلو ومُر في مبدأه وأوله، وخير وشر في منتهاه وعاقبته**»[٢].

قــولـه: «ومن دعاء الذي علَّمه الحسنَ بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يدعو

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧١)، من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: «شفاء العليل» (١/ ٢٦٩).

به في قنوت الوتر: «وقني شرَّ ما قضيت»: أضاف الشر إلىٰ ما قضاه لا إلىٰ قضائه.

قوله: «ولا نجعل قضاء الله وقدرَه حجَّةً لنا في ترك أوامره، وفعل نواهيه»: فالقدر ليس حجة علىٰ فعل المعاصي.

قوله: «بل يجبُ أن نؤمن ونعلمَ، أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر:١٧]»: كل هذه الأدلة تدل علىٰ أن الإنسان ليس مجبورا علىٰ فعل المعاصي، وإنما هي باختيار العبد نفسه.

والدليل العقلي علىٰ هذا أنك لو قلت للذي يزعم أنه مجبور علىٰ فعل العاصي: إذا ضربك شخص بيده علىٰ وجهك أليس ستغضب؟! فسيقول لك: بلىٰ، فقل له: إن كنت تقول بأن هذا فَعلَ باختياره، فنحن نقول لك: إن معصيتك إنما تكون باختيارك.

قوله: «فدل على أن للعبد فعلًا وكسبًا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره»: لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وليس المقصود:

الكسب المنسوب إلىٰ الأشاعرة، والذي أنكره عليهم الأئمة لأنه في الحقيقة ميل إلىٰ الجبر، ونفي لقدرة العبد، أو نفي لتأثيرها؛ فالعبد عند السلف فاعل لفعله حقيقة، وهو كاسب له، وإن كان العبد، وفعله مخلوقين لله تعالىٰ الذي هو خالق كل شيء.

فصل في الإيمان

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة:٥]، فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**(١)، فجعل القول والعمل من الإيمان.

وقال تعالى: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة:١٢٤].

وقال: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [الفتح:٤].

وقال رسول الله ﷺ: **«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي قلبه مثقال بُرة أو خردلة أو ذرة من الإيمان»(١)، فجعله متفاضلًا.

الشَّرْح

الإيمان لغةً: الإقرار والتصديق.

واصطلاحًا: قول باللسان وعمل بالأركان وعُقَد بالجنان.

مثال القول: لا إله إلا الله.

ومثال العمل: الركوع.

ومثال العُقَد: الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

فائدة [١]: ضلت في الإيمان فئتان:

الأولىٰ: المرجئة: الذين قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فلا يضر مع الإيمان ذنب.

الثانية: الخوارج: الذين قالوا: الإيمان جزء واحد، فمن فعل معصية كفر.

فائدة [٢]: أقوال الناس في تعريف الإيمان:

اختلف الناس في الإيمان علىٰ ستة أقوال:

القول الأول: الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح وعمل بالقلب والجوارح.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القائلون به: أهل السنة والجماعة.

القول الثاني: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، ولا يدخلون فيه العمل.

القائلون به: مرجئة الفقهاء من الحنفية.

القول الثالث: الإيمان تصديق بالقلب فقط، دون نطق باللسان.

وعلىٰ هذا القول الكفار مؤمنون.

القائلون به: الأشاعرة.

القول الرابع: الإيمان نطق باللسان فقط، دون اعتقاد بالقلب.

وعلىٰ هذا القول المنافقون مؤمنون.

القائلون به: الكرامية.

القول الخامس: الإيمان معرفة بالله فقط.

وعلىٰ هذا القول ليس علىٰ وجه الأرض كافر بالكلية، إذ لا يجهل الخالق سبحانه وتعالى أحد.

القائلون به: الجهمية.

القول السادس: الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب، والعمل شرط كمال.

القائلون به: طائفة في هذا العصر.

قوله: «والإيمانُ قول باللسان وعمل بالأركان»: أي بالجوارح.

قوله: «وعُقُدٌ بالجِنَان»: أي بالقلب، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

قــولـه: «يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان»: أي من أسباب زيادة الإيمان فعل الطاعات، ومن أسباب نقصانه فعل المعاصي.

قــولـه: «قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة:٥]، فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين، وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، فجعل القول والعمل من الإيمان»: دل هذا علىٰ أن الإيمان قول، وعمل خلافا للمرجئة، كما أن قوله ﷺ: «**أعلاها، وقوله** ﷺ: «**أدناها**» يدل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

قــولـه: «وقال تعالى: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٧٣]، وقال: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [الفتح:٤]، وقال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان»، فجعله متفاضلًا»: دل هذا علىٰ زيادة الإيمان، إذا ثبتت زيادته ثبت نقصانه؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصًا عن الزائد.

فصل في السمعيات

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.

ومن ذلك أن مَلك الموت لما جاء إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه[(١)].

الشَّرْح

قـولـه: «ويجبُ الإيمان بكلِّ ما أخبر به النبيُّ ﷺ، وصح به النقلُ عنه»: أي لا نفرق بين المتواتر، والآحاد فنؤمن بكل الأحاديث الصحيحة.

قـولـه: «فيما شاهدناه أو غاب عنَّا»: أي الإيمان يكون بأشياء مشاهدَة وأشياء غيبية.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٢٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قــولـه: «نعلم أنه حقٌّ وصدقٌ، وسواءٌ في ذلك ما عقلناه وجهلناهُ ولم نَطَّلعْ على حقيقة معناه»: هذا من تمام الإيمان، فلا يتم إيمان أحد إلا بهذا.

قــولـه: «مثل حديثِ الإسراء والمعراجِ»: الإسراء لغة: السير ليلًا.

وشرعًا: سير جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبي ﷺ من مكة إلىٰ بيت المقدس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء:١].

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعًا: السُّلم الذي عُرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلىٰ السماء؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم:١٨].

قــولـه: «وكان يقظة لا منامًا، فإن قريشًا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات»: أي لو كان منامًا لم تنكره قريش؛ لأنها لا تنكر المنامات.

قــولـه: «ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه»: قال بعض أهل العلم: هذا الحديث غُصةٌ في حلوق المبتدعة، وهو فيصل بين أهل السنة، وأهل البدع، فمن قبله كان من أهل السنة، ومن لم يقبله كان من أهل البدع.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقتله[١]، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل.

الشَّرْح

قوله: «ومن ذلك أشراط الساعة»: الأشراط جمع شرط، وهو لغة العلامة.

والساعة لغة: الوقت، والمراد بها هنا: القيامة.

عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ**»[٢].

قوله: «مثل خروج الدجال»: الدجال لغة: صيغة مبالغة من

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

الدجل، وهو الكذب والتمويه.

وشرعًا: رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية؛ وخروجه ثابت بالسنة، والإجماع.

قوله: «ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ»: لحديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّىٰ لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»[(١)].

قوله: «فيقتله»: أي يقتل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدجال، كما في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ**»[(٢)].

قوله: «وخروج يأجوج ومأجوج»: هم قوم من بني آدم، وهم موجودون الآن، لقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف:٩٤].

ويأجوج ومأجوج: اسمان مشتقان من المَأْج وهو الاضطراب، أو من أجيج النار.

قوله: «وخروج الدابة»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل:٨٢].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والدابة لغة: كل ما دب على الأرض.

والمراد بها هنا: الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة.

قوله: «وطلوع الشمس من مغربها»: لحديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾** [الأنعام:١٥٨] »(١).

قوله: «وأشباه ذلك مما صح به النقل»: كالخسوفات الثلاثة؛ خسف في المشرق، وخسف في المغرب، وخسف في جزيرة العرب، كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في كل صلاة.

وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق.

والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس:٥١].

ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلا بهما، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ، ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

الشَّرْح

قــولـه: «وعذابُ القبرِ ونعيمهُ حقٌّ»: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، العذاب لأهل المعصية، والنعيم لأهل الطاعة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام:٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ - أَوِ المُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(١).

قــولـه: «وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في كل صلاة»: أي

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

بالاستعاذة من عذاب القبر، وقد ثبت هذا عنه ﷺ بأدلة كثيرة، منها:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[(١)].

وفي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في حديث الكسوف، قالت: «**ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»[(٢)].

قوله: «وفتنة القبر حق»: أي اختبار القبر، فكل إنسان سيُسأل في قبره ويقال له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فالمؤمن يجيب إجابات صحيحة والكافر والمنافق يقولان: هاه هاه لا أدري.

والفتنة لغة: الاختبار.

وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه، ودينه، ونبيه.

قوله: «وسؤال منكر ونكير حق»: أي يجب الإيمان بهما، وهما ملكان موكلان بفتنة القبر.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٠٥٠).

سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

فائدة: هل العذاب يقع على الروح أو على الجسد؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم لروح الميت وبدنه وأن الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأيضا تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب، ولأهل السنة قول آخر أن النعيم أو العذاب يكون للبدن دون الروح»(٢).

قوله: «والبعثُ بعد الموتِ حقٌّ، وذلك حين ينفخ إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس:٥١]»: أي يخرجون من القبور إلىٰ ربهم يُسْرِعُون للحساب.

والصور: هو القرن، والمقصود به هنا قرن لا يعلم قدره إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «ويحشر الناس يوم القيامة»: أي يُجمعون لمكان الحشر يوم القيامة.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.
(٢) **انظر:** «الفتاوىٰ الكبرىٰ»، لابن تيمية (٥/ ٣٦٤).

قوله: «حفاة»: أي غير منتعلين.

قوله: «عراة»: أي عراة الأجسام.

قوله: «غرلا»: أي غير مختونين

قوله: «بهما»: أي ليس معهم شيء من حطام الدنيا.

قوله: «فيقفون في موقفِ القيامةِ»: هو المحشر.

قوله: «حتى يشفع فيهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ»: هذا بيان للشفاعة العظمىٰ والكبرىٰ المسماة بالمقام المحمود.

قوله: «ويحاسبهم الله تبارك وتعالى»: بعد الشفاعة يحاسب الله الخلائق علىٰ أعمالهم، فتحصىٰ علىٰ العبد كل أعماله، وأقواله، وتصرفاته، ويحاسب علىٰ ذلك كله.

قوله: «وتنصب الموازين»: أي توضع الموازين لتوزن بها الأعمال.

قيل: إنه ميزان واحد، وقيل: إنها موازين متعددة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

قوله: «وتنشر الدواوين»: أي صحائف الأعمال، والديوان هو الصحيفة التي كتبت فيها الملائكة وأحصت فيها أعمال العباد.

قوله: «وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ

سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾»: أي: بعد الحساب، والموازين، ونشر الدواوين تتطاير الصحف التي هي نتائج ذلك الحساب، فأما من أوتي كتابه بيمينه فهو الناجي السعيد، ومن أوتي كتابه بشماله من وراء ظهره فهو الخاسر الشقي.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾: أي يدعو علىٰ نفسه بالويل والثبور والهلاك.

قــولــه: «والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال»: أي ميزان حقيقي لا كما تقول المعتزلة، واللسان هو ما يُجعل وسط الميزان ليحفظ توازن الكفتين.

قــولــه: «﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾»: هذه هي نتيجة الحساب؛ من ثقلت موازينه فهو الرابح، وهو المفلح الناجي من النار الفائز بالجنان؛ ومن خفت موازينه فهو الخاسر؛ لأنه في يوم القيامة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا(١).

والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار، ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما فيدخلون الجنة بشفاعته(٢)، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء:٢٨]، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

الشَّرح

قوله: «ولنبينا محمد ﷺ حوضٌ في القيامة»: لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، أَنَّها سُئِلَتْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر:١]، قَالَتْ: «**نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٩٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٣).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٩٦٥).

وعَنْ عَبْدِ الله بن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ**»(١).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ الرسولَ ﷺ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ**»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّىٰ عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٣).

قوله: «ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العَسَل، وأباريقُهُ عدد نجوم السماءِ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا»: لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(٤).

قوله: «والصراط حق»: الصراط جسر ممدرد علىٰ متن جهنم عليه كلاليب من نار، كشوك السعدان، تخطف الناس، يمر عليه المؤمنون إلىٰ جنات النعيم، والمجرمون إلىٰ جهنم وبئس المصير.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٩).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٠٦١).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٩٢).

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١].

قال ابن أبي العز الحنفي: «**والأظهر والأقوىٰ أنه المرور علىٰ الصراط**»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «... **ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**»(٢).

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»(٣).

قــولـه: «يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار»: الأبرار هم المؤمنون الموحدون، والفجار هم المنافقون، ومن زادت سيئاتهم علىٰ حسناتهم، أما الكفار فلا يعبرون علىٰ الصراط؛ لقوله تعال: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم:٨٦].

قــولـه: «ويشفعُ نبيُّنا محمد ﷺ فيمن دَخَلَ النار من أمتهِ من

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٣٤).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٤٣٩).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما، فيدخلون الجنة بشفاعته ﷺ»: لحديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**»[(١)].

فائدة: الشفاعة من حيث ثبوتها ثلاثة أقسام:

١- شفاعة متفق عليها بين المسلمين جميعًا، وهي الشفاعة العظمىٰ.

٢- شفاعة اختلف فيها أهل السنة مع أهل البدع كالخوارج والمعتزلة؛ وهي الشفاعة في أهل الكبائر في الخروج من النار.

٣- شفاعات مختلف في تسميتها شفاعات بين أهل السنة؛ وهي باقي الشفاعات.

قــولـه: «ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات»: لحديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلَائِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا**»[(٢)].

قــولـه: «قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾»: أي الماضي.

قــولـه: «قال تعالى: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾»: أي المستقبل.

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦٦).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٤٣٩).

قـولـه: «قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾»: هذا فيه أن الشفاعة لا تكون إلا لمن رضي الله عنه.

قـولـه: «قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾»: أي خائفون وجلون.

قـولـه: «ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين»: لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدَّثر:٤٨].

فائدة: يشترط في قبول الشفاعة ثلاثة شروط:

١- الإذن بالشفاعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

٢- الرضا عن الشافع.

٣- الرضا عن المشفوع له.

والدليل علىٰ هذين الشرطين قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم:٢٦].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٥]، ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت»[(١)].

------------ الشَّـرْح ------------

قــولـه: «والجنةُ والنارُ مخلوقتان لا تفنيانِ»: أي موجودتان باقيتان.

قال الله تعالىٰ في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[الحديد:٢١].

وقال تعالىٰ في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[آل عمران:١٣١].

وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾[الفرقان:١١].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»**[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

قوله: «فالجنة مأوى أوليائه»: أولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس:٦٢-٦٣].

قوله: «والنار عقاب لأعدائه»: أعداء الله هم الكفار والمنافقون.

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٢٨].

قوله: «﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾»: أي إن الذين أجرموا علىٰ أنفسهم بالشرك والمعاصي في جهنم خالدون لا يخرجون ولا يموتون.

قوله: «﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾»: أي لا يخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس.

قوله: «ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت»: لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ»(١).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

فصل في حقوق النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الشَّـرْح

قــولـه: «ومحمد ﷺ خاتمُ النبيين»: أي لا نبي بعده ﷺ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[١].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

قـولـه: «وسيدُ المرسلين»: أي أفضلهم ﷺ، لحديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ**»(١).

قـولـه: «لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته»: أي يؤمن بأنه رسول الله ﷺ، ويصدقه ويتبعه فيما جاء به؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢).

قـولـه: «ويشهد بنبوته»: أي يشهد أنه نبي أوحىٰ الله إليه.

قـولـه: «ولا يُقْضَى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته»: أي لا يحاسب الناس إلا بعد شفاعته ﷺ، فهو ﷺ صاحب الشفاعة العظمىٰ، وهي المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾[الإسراء:٧٩].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٧٣)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني.
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٣).

مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً »[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٢)].

قــولــه: «ولا يدخل الجنةَ أمةٌ إلا بعد دخول أمتِهِ»: هذا إكرام للنبي ﷺ.

قــولــه: «صاحب لواءِ الحمدِ»: لحديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»[(٣)].

ومعنىٰ اللواء للرسول ﷺ أنه يكون هو قائد المرسلين وقائد الأمم.

قــولــه: «والمقامِ المحمودِ»: أي الشفاعة العظمىٰ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٧٣)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني.

صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ فَيَأْتُونَ، مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ

بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلاَ تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ - »(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[(١)].

قــولـه: «والحوض المورودِ»: أي الذي يرده الناس، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»[(٢)].

قــولـه: «وهو إمامُ النبيين وخطيبُهم»: لحديثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ»[(٣)].

قــولـه: «وصاحبُ شفاعتهم»: أي هو الذي يشفع لبدء الحساب يوم القيامة.

قــولـه: «أمتُه خيرُ الأممِ»: أي أمة النبي ﷺ أفضل الأمم؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

قــولـه: «وأصحابُه خيرُ أصحاب الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»: لحديث

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٧).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٩).
(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣١٤٨)، وأحمد (٤/ ٣٣٠).

عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(١)].

والصحابي: هو من لقي النبي ﷺ، مؤمنا به، ومات على ذلك[(٢)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) **انظر**: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر»، لابن حجر العسقلاني، صـ(١١١).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، لما روى عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: **«كنا نقول والنبي ﷺ حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»**[(١)].

وصحت الرواية عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **«خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث»**[(٢)].

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»**[(٣)].

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٥٢٩).

(٣) ضعيف: «رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة» (٩).

على ضلالة ثم من بعده عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لتقديم أهل الشورى له، ثم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»**[(١)].

وقال ﷺ: **«الخلافة من بعدي ثلاثون سنة»**[(٢)] فكان آخرها خلافة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الشَّرْح

قوله: «وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمرُ الفاروقُ، ثم عثمانُ ذو النورين، ثم عليٌّ المرتضى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما روى عبدُالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نقول - والنبيُّ ﷺ حي- : «أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم، عمر ثم عثمان، ثم علي، فيبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فلا ينكره»: اتفق أهل السنة علىٰ أن الأحق بالخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، واختلفوا في ترتيبهم في الأفضلية، والأكثر

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٠١)، من حديث العرباض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، وحسنه، من حديث سفينة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

علىٰ تقديم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قــولـه: «وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمسُ ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»: هذا أثر ضعيف.

قــولـه: «وقال ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، فكان آخرها خلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»: أي خلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلىٰ ٢٢ جمادىٰ الآخرة سنة ١٣هـ.

وخلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادىٰ الآخرة سنة ١٣هـ إلىٰ ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

وخلافة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوما من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلىٰ ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ.

وخلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أربع سنوات وتسعة أشهر من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ إلىٰ ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يوم مات أبوه علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلَّم الأمر إلىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ وبعض أهل العلم لا يذكر خلافة الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لقصرها، والصحيح أنها من الخلافة.

[الشهادة للمعين بجنة أو بنار]

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»(١)، وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها كقوله: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(٢)، وقوله لثابت بن قيس: «**إنه من أهل الجنة**»(٣).

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وصححه، وابن ماجه (١٣٣)، النسائي في «الكبرى» (٨١٣٧)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٦٨)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١١٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١١٣)، وأحمد (١٧/ ٣١)، من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٩)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الشَّرح

فائدة: الشهادة قسمان:

الأول: شهادة خاصة، وهي المعلقة بشخص مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله ﷺ.

الثاني: شهادة عامة، مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار.

قوله: «وكلُّ من شهدَ له النبيُّ ﷺ بالجنة شهدنا له بها»: أي أن أهل السنة والجماعة يشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول، أما من لم يشهد له الرسول فإنه يُشهد له شهادة عامة فنقول: كل من مات من المؤمنين فهو من أهل الجنة، نرجو له الخير.

قوله: «ولا نجزمُ لأحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نار، إلا من جزم له الرسولُ ﷺ»: أي لا نشهدُ لمعينٍ بجنةٍ ولا بنارٍ، إلا لمن ورد به النصُّ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ**»[(١)].

وأخبر الله أن أبا لهب في النار، فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارٗا ذَاتَ

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٨١٢).

لَهَبٍ ﴿٣﴾ [المَسَد:١-٣].

وأخبر النبي ﷺ أن عمرو بن لُحَيٍّ في النار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلَاءِ، يَجُرُّ قُصْبَهُ[(١)] فِي النَّارِ**»[(٢)].

قوله: «لكن نرجو للمحسنِ، ونخافُ على المسيء»: أي نرجو للمحسن أن يدخل الجنة، ولا نقطع له بها، ونخاف علىٰ المسيء، ولا نقطع له بدخولها؛ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) **قصبه**: أي أمعاءه، واحدها قصب.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٢٨٥٦).

[حكم مرتكب الكبيرة من أهل القبلة]

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

الشَّرْح

قوله: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل»: أي بعمل كبيرة دون الكفر، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بالذنوب.

ومن الأدلة على أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار:

حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**»[(١)].

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦٦).

[الواجب علينا نحو ولاة الأمور]

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ونرى الحج والجهاد ماضيًا مع طاعة كل إمام، برًا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

قال أنس: قال النبي ﷺ: **«ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله ﷻ حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»**[1]، رواه أبو داود.

الشَّرْح

قـولـه: «ونرى الحجَّ والجهاد ماضيين مع كلِّ إمامٍ، برّا كان أو فاجرًا»: هذا تقرير لمذهب أهل السنة والجماعة في أن السمع والطاعة واجبة للإمام الشرعي، سواء كان برًّا أو فاجرًا، وطاعته إنما هي في غير

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٢٥٣٢)، وفي سنده: يزيد ابن أبي نشبة، لم يخرج له أحد من الستة غير أبي داود وهو مجهول كما قال الحافظ المزي، ولكن له شواهد، وضعفه الألباني.

معصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وأن طاعته واجبة ولو كان فاجرا؛ لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ، فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ»(١).

قوله: «وصلاةُ الجمعةِ خلفهم جائزة»: أي ولو كانوا فجارا، فيصلي خلف الإمام، ولو كان يُعلم أنه يؤخر الصلاة أو أنه يشرب الخمر.

قوله: «قال أنسٌ: قال النبيِّ ﷺ: «ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكفُّ عمن قال: لا إلٰه إلا الله»: يعني عدم الاعتداء علىٰ دمه وماله وعرضه مادام أظهر الدين.

قوله: «ولا نكفرُهُ بذنب سبق، ولا نخرجُه من الإسلام بعمل، والجهادُ ماضٍ منذ بعثني اللهُ ﷻ، حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جَوْر جائرٍ ولا عدلُ عادلٍ، والإيمانُ بالأقدار»: هذا الحديث صحيح معنىٰ، والأمة مجمعة عليه.

والجور هو الظلم.

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٤٢٦)، وصححه الألباني.

[من حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علينا]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال النبي ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**(١).

الشَّرْح

قوله: «ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم»: هذه من حقوق

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

أصحاب النبي ﷺ، فيجب توليهم، ونصرتهم، والدفاع عنهم، ومحبتهم، والترضي عنهم جميعًا.

قوله: «والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم»: أي يجب أن نكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، ونعتقد أنهم مجتهدون، ومن اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد منهم وأخطأ فله أجر واحد، وكلهم لهم الفضل ولهم الصحبة المنزِلة العالية.

قوله: «واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم»: أي نعتقد أنهم أفضل الناس بعد الأنبياء.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠].

وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(٢).

قوله: «قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾»: قسم الله ﷻ المؤمنين في سورة الحشر إلىٰ ثلاث فئات، وهي:

١- الأنصار.

٢- المهاجرون.

٣- المؤمنون الذين جاءوا من بعد هؤلاء.

فإذا أردت أن تكون من الصنف الثالث، فعليك بأمرين:

الأول: أن تستغفر للمهاجرين، والأنصار.

الثاني: ألا تحمل غلًا، أو حقدًا لأحد من علماء المسلمين الموجودين في عهدك، فإن نمت وفي قلبك غل لأحد من المسلمين فاخشَ ألا تكون منهم.

قوله: «وقال النبيُّ ﷺ: «لا تسبوا اصحابي، فإن أحَدَكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا، ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَهُ»»: المد ملء كفي الرجل المعتدل.

[الواجب علينا نحو آل بيت النبي ﷺ]

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن السنة: الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

الشَّرْح

قوله: «ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ، أمهات المؤمنين المطهَّرات المبرّءات من كل سوء»: اتفق أهل السنة على أن أزواج النبي ﷺ كلهن في الجنة.

قوله: «أفضلهن خديجَةُ بنت خويلد، وعائشةُ الصديقةُ بنتُ الصديق، التي برَّأها الله في كتابِهِ، زوجُ النبيِّ ﷺ في الدنيا والآخرة»: أي أفضل أزواج النبي ﷺ خديجة، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ»[(١)].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ»[(٢)].

فائدة: حكم من سب أصحاب النبي ﷺ.

من سبهم لدينهم، أو إيمانهم، أو قال بردتهم، فهو كافر.

أما من سبَّ بعضهم لشخصه كأن يقول: هو بخيل أو جبان، أو يريد مُلكا، فهذا يجب تعزيره وتأديبه حتىٰ يتوبَ من ذلك.

قــولـه: «فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم»:

أي من قذف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فهو كافر.

قــولـه: «ومعاويةُ خالُ المؤمنين»: لأنه كان أخا لأم حبيبة زوج النبي ﷺ وهي حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وخص المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن معاوية قاتل عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قــولـه: «وكاتبُ وحي الله، أحدُ خلفاء المسلمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»: أي ولو لم يكن أمينًا ما ائتمنه الرسول ﷺ علىٰ أعظم أمر وهو كتابة الوحي.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

وجوب الاتباع وذم الابتداع

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

ومن السنة: هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية، والكلابية، ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون

فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الشَّرْح

فائدة: طاعة ولاة الأمور قسمان:

الأول: تجب طاعتهم إن أمروا بطاعة الله أو رسوله ﷺ، أو أمروا بشيء فيه مصلحة للمسلمين.

الثاني: تحرم طاعتهم إن أمروا بمعصية الله سبحانه وتعالى.

قوله: «ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناسُ، ورضوا به، أو غلبهم بسيفه، حتى صار خليفة، وسُمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحرمت مخالفته والخروجُ عليهِ، وشقُّ عصا المسلمين»:

أي يحرم شق عصا المسلمين، والخروج علىٰ أمراء المسلمين بشرطين:

الأول: أن يحكموا بالكتاب والسنة.

الثاني: ألا يقع منهم كفر بواح.

قــولـه: «ومن السنةِ: هجرانُ أهلِ البدعِ»: وإن غلب على الظن أن الهجر ينفع مع صاحب المعصية هُجر.

قــولـه: «ومباينتُهم»: أي مفارقتهم.

قــولـه: «وتركُ الجدالِ والخصوماتِ في الدين، وتركُ النظرِ في كتبِ المبتدعةِ، والإصغاء إلى كلامهم»: لأن هؤلاء المبتدعة يوردون شبها، ويميلون إلىٰ ما تشابه من نصوص الكتاب والسنة، فإذا قرأ الإنسان كتبهم، واطلع عليها، وسمع كلامهم ربما تأثر بذلك.

قــولـه: «وكلُّ محدثةٍ بدعة»: لحديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(١)].

قــولـه: «وكلُّ متسمٍ بغير الإسلام فهو مبتدعٌ»: أي كل من اتصف بصفة غير الإسلام فهو مبتدع، وقد اكتفىٰ المؤلف بذكر أمثلة لرؤوس أهل البدع.

قــولـه: «كالرافضةِ»: سموا بهذا الاسم؛ لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عندما جاءوا إليه وطلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر حتىٰ يكونوا معه فقال: بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما، فقالوا: إذا نرفضك، فرفضوه، وانفضوا عنه، فسموا: الرافضة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٦٧).

ومن **اعتقاداتهم**: اعتقادهم العصمة في الأئمة وأنهم يعلمون الغيبيات، وتنقصهم من عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واتهامها بالزنا.

قوله: «والجهمية»: نسبة إلىٰ جهم بن صفوان، وهم من الجبرية الخالصة، وافقوا المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزادوا عليهم، ومن أعظم ضلالاتهم: إنكار الأسماء والصفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والقول بالجبر، وأن العبد لا قدرة له، ولا إرادة،، كالريشة في مهب الريح.

ومن ضلالاتهم أيضًا: أن الإيمان هو المعرفة، أي أن من عرَف الله فهو مؤمن.

قوله: «والخوارج»: هم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين، وأصلهم الخارجون علىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأجمع المسلمون علىٰ قتالهم.

ومن ضلالاتهم: تكفيرهم لمرتكب الكبيرة، حيث إن كل من ارتكب كبيرة فهو عندهم كافر في الدنيا مخلد في نار جهنم يوم القيامة.

قوله: «والقدرية»: لقبوا بذلك لإسنادهم أفعال العباد إلىٰ قدرتهم وإنكارهم القدر فيها، وهذا يقتضي إثبات خالق لأفعال العباد غير الله.

قوله: «والمرجئة»: هم أصناف، صنف منهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم المراد هنا، وهم الذين يؤخرون الأعمال عن الإيمان فلا يدخلونها فيه، فكل من لم يدخل الأعمال في مسمىٰ الإيمان فهو مرجيء.

قوله: «والمعتزلة»: سموا بذلك؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وعلىٰ رأسهم واصل بن عطاء، وكان غالب بدعتهم وضلالهم من الكلام والفلسفة.

قوله: «والكَرَّامية»: هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرَّام، وكان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي إلىٰ التجسيم والتشبيه.

قوله: «والكُلَّابية»: نسبة إلىٰ عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، متكلم، وهو رأس الطائفة الكُلَّابية، كانت بينه وبين المعتزلة مناظرات.

قوله: «والسالِمِيَّة»: نسبة إلىٰ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري، والسالمية يغلب عليهم التصوف والدفاع عن الصوفية، وفيهم إثبات مع غلو كزعمهم أن الله يتجلىٰ عيانا لأوليائه في الدنيا.

قوله: «والكَلَامِيَّة»: هم الذين يردون النصوص الشرعية إن خالفت عقولهم.

قوله: «ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها»: لكنها متفاوتة فمنها طوائف قد تصل فيها البدع إلىٰ الكفر، ومنها ما لا تصل إلىٰ حدِّ الكفر إلا أنها بدع.

قوله: «وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع»: أي المالكية، والحنفية، والشافعية، والحنابلة.

قوله: «فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة»: لم يرد في ذلك حديث صحيح، لكنه قول صحيح وهو أن الله تعالىٰ رحم هذه الأمة بالتوسعة عليها.

قال بعض أهل العلم: لا ينبغي أن يقال: أصول وفروع، أو: لُب وقشر، والأولىٰ أن يكون التقسيم إلىٰ علمي وعملي.

قــولـه: «والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافُهم رحمةٌ واسعةٌ، واتفاقُهم حَجَّةٌ قاطعةٌ»: أي ما اتفق عليه المسلمون وأجمعوا عليه فهو حجة بشروط الاجتماع المعروفة، وما اختلفوا فيه فإننا نترحم علىٰ الجميع، لكن الواجب علينا أن نتبع من كان معه الدليل.

ولو انتسب الإنسان إلىٰ المذهب الحنفي أو المالكي أو الشافعي أو الحنبلي، ثم رأىٰ في مسألة من المسائل أن الدليل مع القول الآخر، أو المذهب الآخر، فالواجب عليه أن يتبعه.

قــولـه: «نسأل الله أن يعصِمَنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن اتبع رسول الله ﷺ في الحياة، ويحشرنا في زمرتِهِ بعد المماتِ برحمتِهِ وفضلهِ آمين»: ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكتاب بالدعاء له ولسائر المسلمين بأن يجنبنا الفتن، وأن يحيينا علىٰ سنة النبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأن يجمعنا معه ﷺ في الآخرة.

قــولـه: «وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا»: ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكتاب بالثناء علىٰ الله، وبالصلاة علىٰ النبي ﷺ وأصحابه وآل بيته ﷺ.

تم الشرح والحمد لله رب العالمين

جدول توضيحي بالصفات المختلف فيها وبيان المعنى الحق والمعنى الباطل وأدلتها من الكتاب والسنة، والرد على المعطلة

الصفة	المعنى الحق	المعنى الباطل	الدليل القرآني	الدليل من النبوي	بم نرد على المعنى الباطل؟
١ - الوجه	وجه حقيقي يليق بالله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.	الثواب	«ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»	«إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
٢ - اليدان	يدان حقيقيتان تليقان بالله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.	النعمة أو القدرة.	«بل يداه مبسوطتان»	«وبيده القبض»	نرد عليهم بأربعة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح. - أن السياق مما يمنع تفسيرهما بذلك قطعًا كقوله تعالىٰ: «بل يداه مبسوطتان»، فلا يمكن أن يكون المعنىٰ قدرتاه لأن القدرة واحدة.
٣ - النفس	ثابتة لله تعالىٰ بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.	عُطلت.	«كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة»	«سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرش، ومداد كلماته»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٤- المجيء	مجيء حقيقي يليق بالله تعالىٰ.	مجيء أمره.	«وجاء ربك»	«حتى إذا لم يبق من يعبد الله أتاهم رب العالمين»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
٥- الرضا	رضا حقيقي يليق بالله تعالىٰ.	الثواب.	«رضي الله عنهم ورضوا عنه»	«إن الله ليرضىٰ عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها».	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
٦- المحبة	محبة حقيقية تليق بالله ﷻ.	الثواب.	«فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه»	«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
٧- الغضب	غضب حقيقي يليق بالله ﷻ.	الانتقام.	«و غضب الله عليه ولعنه»	«إن الله كتب كتاب فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»	نرد عليهم بأربعة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح. أن الله غاير بين الانتقام، وبين الغضب، فقال تعالىٰ : «فلما آسفونا انتقمنا منهم»، فجعل الانتقام نتيجة للغضب، فدل علىٰ أنه غيره.
٨- السخط	سخط حقيقي يليق بالله ﷻ.	الانتقام.	«ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله»	«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

٩- الكراهة	كراهة حقيقية من الله تليق بجلاله لمن يستحقها.	الإبعاد	«ولكن كره الله انبعاثهم»	«إن الله كره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
١٠- النزول	نزول حقيقي يليق بالله تعالى.	نزول أمره، أو رحمته، أو ملك من الملائكة.		«ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى سماء الدنيا»	نرد عليهم بأربعة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح. - أن الأمر، ونحوه لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له. كما في حديث النزول.
١١- العجب	عجب حقيقي يليق بالله تعالى.	المجازاة.	«بل عجبتُ ويسخرون»	«عجب الله من فعالكما الليلة»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
١٢- الضحك	ضحك حقيقي يليق بالله ﷻ.	الثواب.		«يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر..»	نرد عليهم بثلاثة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.
١٣- الاستواء على العرش.	استواء حقيقي يليق بالله ﷻ، ومعناه العلو والاستقرار.	الاستيلاء.	«الرحمن على العرش استوى»	«إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»	نرد عليهم بخمسة أشياء: - أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. - أن قولهم خلاف طريقة السلف. - أن قولهم ليس عليه دليل صحيح. أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى. أنه يلزم على المعنى الباطل لوازم باطلة، مثل أن العرش لم يكن ملكا لله، ثم استولى عليه بعد.

١٤–العلو «علو الذات»	علو حقيقي يليق بالله سبحانه وتعالى، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى على السماء.	ملكه وسلطانه في السماء.	«وهو العلي العظيم»	«سبحان ربي الأعلى»	نرد عليهم بستة أشياء: – أن قولهم خلاف ظاهر النصوص. – أن قولهم خلاف طريقة السلف. – أن قولهم ليس عليه دليل صحيح. أن ملك الله، وسلطانه في السماء، وفي الأرض. أن علو الذات صفة كمال، فالله أولىٰ أن يتصف بها. أن الخلق مفطورون علىٰ أن الله في السماء.

الأسئلة والمناقشة

استعن بالله، ثم أجب عن الأسئلة الآتية، في ضوء دراستك لكتاب «الاعتماد شرح لمعة الاعتقاد»:

١- عرف كلا مما يأتي :

اللمعة - التكييف - القرآن - السلف - الخلف - السنة - البدعة - العرش - الكرسي - الإيمان - الإسراء المعراج - فتنة القبر.

٢- ماذا تعرف عن كل من:

الرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية، والكلابية، الكلامية، السالمية.

٣- أجب عن الأسئلة الآتية :

أ- ما الواجب علينا نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ب- هل أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجوز إثباتها بالعقل؟

ت- هل صفات الله حقيقية؟

ث- هل يجوز تكييف صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ج- ما معنى أن أسماء الله وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كلها عليا وحسنى؟

ح- هل يوصف الله بالمكر؟

خ- هل العذاب يقع على الروح أو الجسد

٤- ما الفرق بين كل من:

الصفات الثبوتية، والصفات السلبية - الصفات الفعلية، والصفات الذاتية - التشبيه، والتمثيل - المحكم والمتشابه.

٥- ما هي أقسام كل مما يأتي:

العبودية - الحكم - التأويل - التشبيه - العلو - المنسوخ - الإرادة - الشفاعة من حيث الحكم - الشهادة - طاعة ولاة الأمور.

٦- ما هو المعنى الحق، والمعنى الباطل، لكل صفة من الصفات الآتية، مع ذكر الدليل على المعنى الحق من الكتاب والسنة، وبما ترد على المعنى الباطل؟

الوجه - اليدان - النفس - المجيء - الرضا- المحبة - الغضب - السخط - الكراهة - النزول - العجب - الضحك - الاستواء على العرش - العلو «**علو الذات**».

نسأل الله لنا ولكم الثبات على الحق

محتويات الكتاب

تم بحمد الله